النور الدال

في

ترشيد الأطفال



تأليف

نائبي سليمان والي



المدرس العربي في المدرسة الابتدائية بكانو سابقا
ومدير محو الأمية بولاية كانو - نيجيريا

النُّورُ الدَّالُّ

في

ترشيد الأطفال

تأليف

نائبي سليمان والي

المدرس العربي في المدرسة الابتدائية بكانو سابقا
ومدير محو الأمية بولاية كانو — نيجيريا

١٩٧٤ م — ١٣٩٤ هـ

صححه وقرره الأستاذ الكبير المعلم ابو بكر غمى سوكوتو
والشيخ الكبير المعلم ناصر محمد مغنغرا
والاستاذ عبد الملك بف محمود

مُحَمَّدُ أَوَّلُ عَبْدُ اللهِ

« لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللهِ
أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُو اللهَ
وَالْيَوْمَ الآخِرَ وَذَكَرَ اللهَ كَثِيراً »

صدق الله العظيم

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله الذى خلق الإنسان وميزه على جميع الخلق بالعقل وعلمه بالقلم مالم يعلم وصلى الله على سيدنا محمد خير من جاء لهداية البشر والقائل (خيركم خيركم لأهله) وعلم الناس كيف يتعاملون بينهم بالمحبة والإخلاص وبين لهم أنّ روح الدين المعاملة الحسنة .

أمابعد ، فلقد صدرت الطبعة الأولى من كتاب النور الدلال والمدارس الإسلامية فى هذه البلاد لإزالت حديثة العهد ومع ذلك فقد وجد الكتاب بحمد الله رواجا وتقبلا كبيرا من الطلاب ومدرسيهمْ على السواء ولم تمض مدة قصيرة حتى نفد الكتاب ولم يعد فى متناول يد الباحثين عنه .

وقد استمروا يسألون عن موعد إعادة طبعه ولكن الفرصة لم تتيسر إلا عندما شاء الله لى أن أزور جمهورية مصر العربية وأمكن تقديم الكتاب لإعادة طبعه .

وأرجو من الله أن يكون لظهوره وتداوله مرة أخرى فائدة عامة لأبناء المسلمين والمربين لهم على السواء . والله نسأل أن يؤجرنا فيه .

الدرس الأول

« الأَدَبُ »

الأَدَبُ هُوَ أَنْ تَعْمَلَ كُلَّ شَيْءٍ بِنظَام وَفَائِدَةٍ ، وَمُرَاعَاة حَقٍّ ، فَالتِّلْمِيذُ الطَّيِّبُ المُؤَدَّبُ لَا يَصِيحُ فى البَيْتِ وَلاَ يَرْفَعُ صَوْتَهُ فى الطَّرِيقِ وَلَا يَلْعَبُ فِى زَمَنِ دَرْس وَلَا يَدْرُسُ فى زَمَنِ لَعِبٍ . وَلَا يَمْزَحُ كثِيراً وَلَا يَشْتُمُ إِخْوَانَهُ لَا فِى الْمَدْرَسَةِ وَلَا فِى الْبَيْت . وَإِذَا كَدَّرَهُ شَقِيقٌ مِنْ أَشِقَّائِهِ أَوْ رَفِيقٌ مِنْ رُفَقَائِهِ عَامَلَهُ بِالذَّوْقِ وَاللُّطْفِ . وَقَابَلَ ذَنْبَهُ بِالصَّفْحِ وَالسَّمَاحِ . وَمَنْ لَا يَرْفَعُ صَوْتَهُ عَنْ مَنْ هُوَ أَكْبَرُ مِنْهُ سِنًّا . وَلَا يَتَقَدَّمُ عَلَيْهِ لَا فِى المَجْلِسِ وَلَا فِى الْمَأْكَلِ وَلَا فِى غَيْرِ ذٰلِكَ . وَمَنْ يَحْتَرِمُ الْكَبِيرَ وَيَرْحَمُ الصَّغِيرَ . وَكُلُّ مَنْ يَفْعَلُ ذٰلِكَ هُوَ التِّلْمِيذُ الْعَاقِلُ الظَّرِيفُ .

« فَضْلُ الأَدَب »

بِالأَدَبِ يَعِيشُ المَرْءُ عَيْشَ الصَّفَاءِ بَيْنَ النَّاس ، وَيَكُونُ كَرِيماً بَيْنَ إِخْوَانِهِ ، مَحْبُوبًا عِنْدَ اللهِ وَالنَّاسِ ، مُقْتَدِياً بِخَيْرِ الخَلْقِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فى قَوْلِهِ « لَأَنْ يُؤَدِّبَ الرَّجُلُ ابْنَهُ خَيْرٌ مِنْ أَنْ

يَتَصَدَّقَ بِصَاعٍ ! » وَيَفْهَمُ فى قَوْلِهِ أَيْضًا « لَا فَقْرَ أَشَدُّ مِنَ الْجَهْلِ ، وَلَا مَالَ أَعَزُّ مِنَ الْعَقْلِ » قَالَ بَعْضُ الْحُكَمَاءِ « الْأَدَبُ فَوْقَ الْعِلْمِ ، وَالْعِلْمُ أَصْلُ كُلِّ خَيْرٍ » . فَعَلَيْكَ إِذاً أَنْ تُسَابِقَ إِلَى الْأَدَبِ لِتَفُوزَ بِخَيْرَىِ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ » .

الدرس الثانى

الْعِلْمُ

الْعِلْمُ هُوَ مَعْرِفَةُ مَا خَفِيَ مِنْكَ وَظُهُورُ مَا اسْتَتَرَ عَنْكَ وَخُرُوجُكَ مِنْ ظُلْمَتِهِ إِلَى نُورِهِ .

فَالْعِلْمُ يَا أَخِي هُوَ أَصْلُ كُلِّ خَيْرٍ وَلَا يَخْفَى هٰذَا عَلَى كُلِّ عَاقِلٍ، وَإِنَّ مَعْرِفَةَ الشَّيْءِ هِيَ النَّجَاةُ مِنْ شَرِّهِ وَالْوُصُولُ إِلَى خَيْرِهِ . وَاعْلَمْ أَنَّ الْعِلْمَ عِلْمَانِ : دُنْيَوِىٌّ وَأُخْرَوِىٌّ ، وَالْكُلُّ مَطْلُوبٌ مِنْكَ . فَإِيَّاكَ وَالِاقْتِصَارَ عَلَى أَحَدِهِمَا فَتَغْرَقَ فِى شَرِّ الْآخَرِ . فَمِثَالُهُمَا لَكَ يَا أَخِى كَمَثَلِ الطَّيْرِ لَهُ جَنَاحَانِ يَطِيرُ بِهِمَا حَيْثُ شَاءَ ، فَجَنَاحُكَ الْيُمْنَى هُوَ عِلْمُكَ الْأُخْرَوِىُّ ، وَجَنَاحُكَ الْيُسْرَى عِلْمُكَ الدُّنْيَوِىُّ . فَإِذَا اجْتَهَدْتَ فى هٰذَيْنِ الْعِلْمَيْنِ لَيْلاً وَنَهَاراً هُدِيتَ بِالْهِدَايَةِ ، وَإِلَّا

بُليتَ بالْغَوَايَة وَلَا فَرْقَ إذاً بَيْنَكَ وَبَيْنَ الدَّابَّة تأْكُلُ وَتَشْرَبُ وَتَنَامُ كَمَا تَفْعَلُ أَيُّهَا الْجَاهل .

« فَضْلُ الْعِلْم »

مَنْ كَانَ عَالِماً أَكْرَمَهُ كُلُّ وَاحد وَأَحَبَّهُ ، وَلَا يَزَالُ مُرْتَفِعاً عَلَى إخْوَانِهِ ، لِأَنَّ الْعِلْمَ هُوَ الدَّرَجَةُ الْعُلْيَا إنْ عَلِمْت نَجَيْتَ ، وَإنْ جَهِلْتَ غَرِقْتَ !

يَكْفِيكَ فِى فَضْلِ الْعِلْمِ تَنْويه الرَّبُّ بِهِ فِى الْكِتَابِ وَتَفْضيله به آدَمُ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَقَوْله للنَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ « وَقُلْ رَبُّ زِدْنِى عِلْماً » وَإنَّ تَكْليفَهُ قَبْلَ تَكْليفِ الْعِبَادَةِ بَيْدَ أَنَّ طَلَبَهُ فَرْضٌ عَلَى كُلُّ مُسْلِم . وَقَدْ قَالَ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ (طَلَبُ الْعِلْم فَرِيضَةٌ عَلَى كُلُّ مُسْلِمِ وَمُسْلِمَة) وقَالَ أَيْضاً « لَافَقْرَ أَشَدُّ منَ الجَهْل » وَقَالَ : « اطْلُبوا الْعِلْمَ وَلَوْ بالصِّينِ » وَقَالَ أَيْضاً « الْعَالِمُ وَالْمُتَعَلِّمُ شَرِيكَانِ فى الخَيْرِ وَسَائِرُ النَّاسِ لَا خَيْرَ فِيهِمْ » وَقَالَ أَيْضًا « كُنْ عَالِمًا أَوْ مُتَعَلِّماً أَوْ مُسْتَمِعًا أَوْ مُحِباً وَلَا تَكُنْ الْخَامِسَةَ فَتَهْلكَ » . وَغَيْرَ ذلكَ مِمَّا لَا يُحْصَى ! !

وَقَالَ الْإِمَامُ عَلِيٌّ كَرَّمَ اللهُ وَجْهَهُ :

رَضِينَا قِسْمَةَ الجَبَّار فِينَا   لَنَا عِلْمٌ ولِلْأَعْداءِ مَالُ
فَإِنَّ المَالَ يَفْنَى عَنْ قَرِيبٍ   وَإِنَّ الْعِلْمَ حَيٌّ لَا يَزَالُ

وَقَالَ أَيْضًا :

مَا الْفَخْرُ إِلَّا لِأَهْلِ الْعِلْمِ إِنَّهُمُ   عَلَى الهُدَى لِمَن اسْتَهْدَى أَدِلَّاءُ
وَقَدْرُ كُلِّ امْرِىءٍ مَا كَانَ يُحْسِنُهُ   وَالْجَاهِلُونَ لِأَهْلِ الْعِلْمِ أَعْدَاءُ
فَفُزْ بِعلْم تَعِشْ حَيًّا بِهِ أَبَداً   النَّاسُ مَوْتَى وَأَهْلُ الْعِلْمِ أَحْيَاءُ

وَقَالَ بَعْضُهُمْ :

الْجَاهِلونَ مَوْتَى قَبْلَ مَوْتِهِمُ   وَالْعَالِمونَ وَإِنْ مَاتُوا فَأَحْيَاءُ

وَقَالَ بَعْضُهُمْ :

الْعِلْم يَرْفَعُ بَيْتاً لَا عِمَادَ لَهُ   وَالْجَهْلُ يَهْدِمُ بَيْتَ الْعِزِّ وَالْكَرَمِ

يَكْفِيكَ إِنْ كُنْتَ عَاقِلا النَّظَر فِيمَا عَلَيْهِ أَهْل أُورُبَّا وَغَيْرهِمْ مِنَ الْعُلَى ، فَاعْلَمْ أَنَّهُ مَا حَصَلَ لَهُمْ ذَلِكَ إِلَّا بِعِلْمِهِمْ وَجِدِّهِمْ .

قَالَ تَعَالَى وَهُوَ أَصْدَقُ الْقَائِلِينَ : (وَمَا يَسْتَوِى الْأَعْمَى وَالْبَصِيرُ ، وَلَا الظُّلُمَاتُ وَلَا النُّورُ وَلَا الظِّلُّ وَلَا الحَرُورُ) وَقَالَ أَيْضاً (مَثَلُ الْفَرِيقَيْنِ كَالْأَعْمَى وَالْأَصَمِّ وَالْبَصِير وَالسَّمِيع هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلاً) .

وَيَكْفيكَ أَيْضاً أَنَّ المَلِكَ يَكونُ صُعْلُوكاً ، وَالْغَنِىَّ يَكونُ فَقيراً وَلَمْ نَرَ يَوْماً أَنَّ عالِمًا أَصْبَحَ جاهِلاً .

فَعَلَيْكَ إِذاً أَيُّهَا اللَّبيبُ الْعَاقِلُ بَعْدَ أَنْ عَرَفْتَ فَضْلَ الْعِلْمِ عِنْدَ اللهِ وَرَسُولِهِ وَهؤلاَءِ الحُكَمَاءِ وَفَضْلَ صَاحِبِه ، وعَرَفْتَ نقْصَ الجَهْلِ عِنْدَهُمْ وَنَقْصَ صَاحِبِه ، أَنْ تَبْذُلَ جُهْدَكَ كُلَّهُ فى طَلَبِ الْعِلْمِ لِتَنْجَحَ فى الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ .

الدرس الثالث

الإِجْتِهَادُ

الإِجْتِهَادُ هُوَ المُوَاظَبَةُ عَلَى شَىْءٍ وَالتَّنَافُسُ فِيهِ وَالثَّبَاتُ عَلَيْهِ مِنْ دُونِ جَزَعٍ مَا .

قَدْ عَلِمْتَ أَنَّ الْعِلْمَ وَاجِبٌ أَنْ يَطْلُبَهُ الْكَبِيرُ وَالصَّغيرُ ذَكَراً كَانَ أَوْ أُنْثَى . فَاعْلَمِ الآنَ أَنَّ كُلَّ شَىْءٍ لاَ يُمْكِنُ تَحْصيلُهُ إِلَّا بِالاجْتِهَادِ فِيهِ . إِذَا كُنْتَ مَعَ إِخْوَانِكَ فِى مَدْرَسَةٍ وَاحِدَةٍ وَفَصْلٍ وَاحِدٍ عَلِمْنَا أَنَّكَ طَالِبَ عِلْمٍ . وَإِذَا كُنْتَ تَأْتِى كُلَّ يَوْمٍ وَلاَ تَتَأَخَّرُ وَتَجْلِسُ بِأَدَبٍ وَتُصْغِى إِلَى المُعَلِّمِ ، وَتَسْأَلُ إِذَا مَا فَهِمْتَ وَتُجيبُ إِذَا سُئِلْتَ . وَتَنْجَحُ عِنْدَ الامْتِحَانِ نَقُولُ إِنَّكَ تِلْميذٌ

مُجْتَهِدٌ ، وَأَمَّا إِذَا كُنْتَ لَاتَأْتِى أَحْيَاناً وَتَلْعَبُ عِنْدَ الدَّرْسِ أَوْ تَنَامُ وَتَسْقُطُ عِنْدَ الامْتِحَانِ ، فَأَنْتَ تِلْمِيذٌ كَسْلَانٌ فَلَا خَيْرَ مِنْكَ يُرْجَى .

« فَضْلُ الاجْتِهَاد »

بِالاجْتِهَادِ فِى الدَّرْسِ وَالرَّغْبَةِ فِى التَّعْلِيمِ وَالمُوَاظَبَةِ عَلَى المَدْرَسَةِ يَتَقَدَّمُ التِّلْمِيذُ عَلَى أَقْرَانِهِ وَيُرْفَعُ قَدْرُه بَيْنَ أَهْلِهِ وَخِلَّانِهِ فَمَنْ كَانَ كَسُولاً وَهَرَّاباً فِى أَوَائِلِه يَكونُ ذَلِيلاً مَمْقُوتاً فِى أَوَاخِرِهِ .

أُنْظُرْ إِلَى قَوْلِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْه وَسَلَّمَ (اطْلُبوا العلْم وَلَوْ بالصِّين) وَقَوْله (تَعَلَّمِ العلْمَ منَ المَهْدِ إِلَى اللَّحْدِ) تَعْرِفْ أَنَّ العلْم لَايَحْصُلُ إِلاَّ بِالاجْتِهَاد وَالمُوَاظَبَة ، وَقَوْلهُ (عُلُوُّ الْهِمَّةِ مِنَ الإِيمَانِ) يُرِينَا أَنَّ الاجْتِهَادَ وَالْهِمَّةَ فِى كُلِّ شَىْءٍ مَطْلوبٌ كُلَّ الطَّلَبِ لأَنَّ اجْتِهَادَكَ فيهِ هُوَ الَّذى يُرِينَا أَنَّكَ آمَنْتَ بِه وَرَضِيتَ بِهِ .

قَالَ بَعْضُ الحُكَماء :

الْجَدُّ فى الجِدِّ وَالحِرْمَانُ فى الكَسَل

فَانْصَبْ تُصِبْ عَنْ قَريب غَايَةَ الأَمَلِ

وَلِذَا أَنَا أَقُولُ :

جَاهِدْ تَجِدْ أَنْ تَجْتَهِدْ لَاتَجْحَدِ فَالْوُجْدُ يُوجِدُ جَوْبَ جِدٍّ فَاعْلَمِ
فَلَقَدْ تَسَاهَرَ كُلُّ مَنْ طَلَبَ الْعُلَى وَسَمِيرُه لَيْلٌ وَبِيضُ الْأَنْجُمِ
قَدْ غَاصَ مَنْ طَلَبَ الَّلآلِي خَائِضًا فِى عُمْقِ بَحْرٍ مُـزْبِدٍ مُتَيَمِّمِ

فَإِيَّاكَ يَا أَخِي وَالكَسَلَ أَوْ أَنْ تَقُولَ إِنِّى كَبِيرٌ الآنَ لَا أَطْلُبُ العِلْمَ لِأَنَّهُ لِلصِّغَارِ أَوْلَى ! ! مَعَ أَنِّى أَرَاكَ تَجْتَهِدُ فِى طَلَبِ المَال الَّذِى هوَ أَدْنَى ، وَظلٌّ يَفْنَى . وَتَتْرُكُ مَاهُوَ لَكَ أَبْقَى وَأَغْنَى ، كَمَا ذَكَرْنَا فى أَبْيَاتِ لِسَيِّدِنَا عَلِىٍّ كَرَّمَ اللهُ وَجْهَهُ . وَعَلَيْكَ بِالاجْتِهَادِ تَنْجَحْ فِى الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ .

الدرس الرابع

« الصِّدْقُ »

الصِّدْقُ هُوَ إِخْبَارٌ عَمَّا وَقَعَ صَحِيحاً بِدُونِ زِيَادَةِ شَىْء عَمَّا وَقَعَ أَو مُوَافَقَة فِعْل أَو إِشَارَة لِلْوَاقِعِ الصَّحِيح.

إِذَا جَاءَ زَائِرٌ إِلَى بَيْتِكُم وَسَأَلَكَ عَن وَالِدِكَ فَأَخْبَرْتَهُ بِأَنَّهُ ذَهَبَ إِلَى مَكَانٍ مَا ، وَكَانَ الأَمرَ هٰكَذَا فَأَنتَ صَادِقٌ فِى قولِكَ .

وَهٰكَذَا إِذَا كَسَرْتَ دَوَاةً فِى الفَصل وَسَأَلَكَ المُعَلِّمُ عمَّن كَسَرَهَا فَقُلتَ بأَدَب « أنَا الَّذى كَسَرْتُهَا بِلاَ شُعور » فَأَنْتَ صَادِقٌ فى قَوْلِكَ ، وَأَمَّا إِذَا قُلْتَ « فُلَانٌ كَسَرَهَا » وَلَيْسَ الأَمْرُ كَذٰلِكَ ، فَقَدْ كَذَبْتَ ، وَكَذَا إِذَا سَأَلَكَ سَائِلٌ عَنْ شَارعٍ لاَ يَعْلَمُهُ فَأَشَرْتَ لَهُ إِلَى ذٰلِكَ الشَّارِعِ كُنْتَ صَادِقًا فى إِشَارَتِكَ ، وَهٰكَذَا إِذَا أَمَرَكَ وَالِدُكَ أَنْ تُذَاكِرَ ، فَجَلَسْتَ تُقَلِّبُ صَفَحَاتِ الْكِتَابِ وَتَقْرَأُ فى سِرِّكَ حَتَّى أَتْمَمْتَ المُذَاكَرَةَ ، كُنْتَ صَادِقاً فى فِعْلكَ . وَأَمَّا إِذَا كُنْتَ تُقَلِّبُ صَفَحَاتِ الْكِتَابِ لِتُوهِمَ وَالِدَكَ أَنَّكَ تُذَاكِرُ ، وَالْوَاقِعُ لَيْسَ كَذٰلِكَ ، كُنْتَ كَاذِباً فى فِعْلكَ .

« فَضْلُ الصِّدْق »

إِذَا كُنْتَ صَادِقاً يَا أَخِى أَصْبَحْتَ مَحْبوبًا عِنْدَ النَّاسِ مَوْثُوقاً بِهِ فِى كُلِّ آنٍ . وَبذٰلكَ تُفْتَحُ لَكَ أَبْوَابُ الخَيْرِ وَالنَّجَاحِ فى الحَيَاةِ. وَالصِّدْقُ يُنْجى صَاحِبَه وَالْكذبُ يَجْلبُ لِصَاحِبِهِ الضَّرَرَ وَالْهَلَاكَ كَمَا تَرَى فى الْحِكَايَةِ الآتِيَة :

كَانَ صَبِىٌّ يَسْتَحِمُّ بالْبَحْرِ مَعَ رُفَقَائِهِ فَصَاحَ بِهِمْ أَنْقِذُونى أَنقذُونى مِنَ الْغَرَق ، فَذَهَبُوا إِلَيْهِ مُسْرِعِينَ فَوَجَدوهُ يَضْحَكُ بِهِمْ

وَيَسْخَرُ بِهِمْ ، وَفِى الْيَوْمِ التَّالِى ذَهَبُوا لِلاسْتِحْمَامِ كَعَادَتِهِمْ ، فَغَلَبَهُ الْمَوْجُ فَاسْتَغَاثَ بِهِمْ كَمَا فَعَلَ فِى الْيَوْمِ الأَوَّلِ فَلَمْ يَذْهَبْ إِلَيْهِ أَحَدٌ لاعْتِقَادِهِمْ أَنَّهُ يَمْزَحُ وَيَكْذِبُ فَابْتَلَعَهُ الْبَحْرُ وَغَرِقَ !!

وَالصَّادِقُ يَكُونُ مَحْبُوباً عِنْدَ اللهِ وَرَسُولِهِ ، مُقْتَدِياً بِالنَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِى أَفْعَالِهِ وَأَقْوَالِهِ . فَقَدْ قَالَ : « أَسْعَدُ الْخَلْقِ مَنْ وَفَّقَهُ اللهُ بِالْحَقِّ » ، وَقَالَ أَيْضًا « قُلِ الْحَقَّ وَلَوْ عَلَى نَفْسِكَ » وَقَالَ أَيْضًا « قُل الْحَقَّ وَلَو كَانَ مُرًّا » ، وَقَالَ أَيْضًا « عَلَيْكُم بِالصِّدْقِ فَإِنَّ الصِّدْقَ يَهْدِى إِلَى الْبِرِّ ، وَالْبِرُّ يَهْدِى إِلَى الْجَنَّة ، وَمَا يَزَالُ الرَّجُلُ يَصْدُقُ وَيَتَحَرَّى الصِّدْقَ حَتَّى يُكْتَبَ عِنْدَ اللهِ صِدِّيقاً ، وإِيَّاكُمْ وَالْكَذِبَ فَإِنَّ الْكَذِبَ يَهْدى إِلَى الْفُجورِ وَإِنَّ الْفُجورَ يَهْدى إِلَى النَّارِ ، وَمَا يَزَالُ الْعَبْدُ يَكْذِبُ وَيَتَحَرَّى الْكَذِبَ حَتَّى يُكْتَبَ عِنْدَ اللهِ كَذَّابًا » رَوَاهُ الْبُخَارِىُّ وَمُسْلِمٌ .

وَقَالَ تَعَالَى (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ) وَقَالَ أَيْضًا (يَا أَيُّهَا الَّذينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللهَ وَقُولُوا قَوْلاً سَدِيداً . يُصْلِحْ لَكُم أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُم ذُنوبَكُم) . وَأَنَا أَقُولُ :

بالصِّدْقِ نَعْرِفُ مَنْ مَضَى وَفِعَالُهُمْ وَمَوَاقِعَ الأَنْهَارِ وَالبُلْدَانِ
ودوَابَّ لَمْ نَرَ والجِبَالَ وَغَيْرَهَا مِثْلَ الحُبُوبِ وَكُلَّ ذى الطَّيَرَانِ

إيَّاكَ وَالْكَذبَ وَإنْ قَلَّ فَلاَ تَحْتَقِرْهُ فَلَيْسَ لَهُ قِلَّةٌ وَلاَ كَثْرَةٌ فى ضَرَرِه وَعَيْبه عِنْدَ اللهِ وَالنَّاسِ ، وَلِذَا قَالَ عَلِيٌّ كَرَّمَ اللهُ وَجْهَهُ (وَلاَ تَقُلْ مَالاَ تَعْلَمُ وَإنْ قَلَّ مَالاَ تَعْلَمُ) .

وَالآنَ قَدْ فَهِمْنَا أَنَّ أَصْلَ كُلِّ خَيْرٍ هُوَ الصِّدْقُ وَأَصْلَ كُلِّ شَرٍّ هُوَ الْكَذبُ ، وَأَنَّ الْكَاذِبَ مَمْقُوتٌ مُحْتَقَرٌ ، وَالصَّادِقُ مَحْبُوبٌ مُحْتَرَمٌ ، فَعَلَيْكَ يَا أخى بالصِّدْق مَعَ وَالِدَيْكَ وَرَئِيسِكَ وَسَائِرِ النَّاسِ أَجْمَعِينَ فى كُلِّ حِينٍ . لِتَفُوزَ بِخَيْرَيِ الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ .

الدرس الخامس

الأَمَانَةُ

الأَمَانَةُ هِيَ حِفْظُ مَالِ غَيْرِكَ وَالاغْتِنَاءُ عَنْهُ وَتَحْسِينُ عَمَلِكَ لِلنَّاسِ ، وَالخِيَانَةُ وَالْغِشُّ عَكْسُهَا . إذَا اسْتَعَرْتَ مِنْ صَاحِبِكَ كِتَاباً لِتَقْرَأَ فِيهِ فَحَفِظْتَهُ عَنِ التَّلَفِ وَالْوَسَخِ وَالتَّمَزُّقِ ، ثُمَّ رَدَدْتَهُ إلَيْهِ سَالِمًا ، فَأَنْتَ أَمِينٌ . وَأَمَّا إذَا مَزَّقْتَهُ أَوْ وَسَّخْتَهُ أَوْ أَصَابَهُ شَيْءٌ مِنَ التَّلَفِ ، أَوْ لَمْ تَرُدَّهُ إلَيْهِ لِظَنِّ أَنَّهُ نَسِيَ . فَأَنْتَ خَائِنٌ .

وَإِذَا الْتَقَطْتَ شَيْئاً ثَوْباً كَانَ أَوْ كِتَاباً أَوْ نُقُوداً أَوْ غَيْرَ ذٰلِكَ ثُمَّ بَحَثْتَ عَنْ صَاحِبِهِ وَلَمْ تُخْفِهِ بَيْنَ أَصْحَابِكَ سُمِّيتَ أَمِيناً . وَأَمَّا إِذَا أَخْفَيْتَهُ وَلَمْ تُعْلِنْ بِهِ سُمِّيتَ خَائِناً .

وَإِذَا كُنْتَ تَاجِراً وَكُنْتَ تُوَفِّي لِلنَّاسِ الْكَيْلَ وَتُشِيرُ لَهُمْ إِلَى الْجَمِيلِ وَالرَّدِيءِ إِذَا سَأَلُوكَ فِي تِجَارَتِكَ . أَوْ طَبِيباً تُعْطِي الْمَرْضَى الدَّوَاءَ الصَّحِيحَ بِدُونِ تَمْوِيهٍ وَلَا غِشٍّ فِيهِ ، أَوْ صَانِعاً مَا وَكُنْتَ تُحْسِنُ صِنَاعَتَكَ قَدْرَ طَاقَتِكَ ـ سَمَّاكَ كُلُّ وَاحِدٍ أَمِيناً ، وَيُسَارِعُ إِلَيْكَ النَّاسُ وَكُنْتَ وَجِيهاً بَيْنَ النَّاسِ لِأَمَانَتِكَ ، وَأَمَّا إِذَا كُنْتَ عَكْسَ هٰذِهِ الصِّفَةِ سَمَّوكَ خَائِنًا غَشَّاشًا ، وَكُنْتَ مَمْقُوتًا عِنْدَ اللهِ وَالنَّاسِ مُحْتَقَراً لِخِيَانَتِكَ .

إِذَا كَانَ لَكَ نُقُودٌ وَكَانَ مِنْهَا بَهْرَجٌ قَبِيحٌ أَوْ مُمَوَّهٌ مَغْشُوشٌ ، بِأَنْ كَانَ فِيهِ رَصَاصٌ أَوْ غَيْرُ ذٰلِكَ ، وَذَهَبْتَ لِتَصْرِفَهُ بَيْنَ النَّاسِ فَإِذَا أَخْبَرْتَ النَّاسَ بِمَا فِيهِ لِيَأْخُذُوهُ عَلَى عِلْمٍ أَوْ يَتْرُكُوهُ كُنْتَ أَمِيناً فِي فِعْلِكَ .

« فَضْلُ الأَمَانَة »

إِذَا كُنْتَ أَمِيناً فِى أَعْمَالِكَ أَصْبَحْتَ مَحْبُوباً مَرْضِياً بَيْنَ النَّاسِ، مُهَاباً مُعَظَّمَا أَيْنَمَا كُنْتَ مَادَامَتِ الأَمَانَةُ مَعَكَ.

وَكُنْتَ أَيْضًا مُقْتَدِياً بِالنَّبِىِّ الأَمِينِ. الَّذِى كَانَ مِنْ أَمَانَتِهِ يَسْتَوْدِعُهُ أَهْلُ مَكَّةَ أَمْتِعَتَهِمْ إِلَى الهِجْرَةِ وَلَمْ يَتْلَفْ عِنْدَهُ شَىْءٌ لأَحَدٍ قَطُّ! وَكَانَ هُوَ القَائِلُ لأَعْرَابِىٍّ يَوْماً «يَا أَخَا العَالِيَة، الأَمَانَةَ، إِنَّهُ لَا إِيمَانَ لِمَنْ لَا أَمَانَةَ لَهُ وَلَا صَلَاةَ لَه وَلَا زَكَاةَ لَه»! وَقَالَ أَيضاً «مَنْ غَشَّنَا فَلَيْسَ مِنَّا» أَىْ لَيْسَ مِنْ أَتْبَاعِ النَّبِىِّ لَا فِى الدُّنْيَا وَلَا فِى الأُخْرَى! وَقَالَ أَيْضًا «كَبُرَتْ خِيَانَتُكَ أَنْ تُحَدِّثَ أَخَاكَ حَدِيثاً هُوَ لَكَ بِهِ مُصَدِّقٌ وَأَنتَ لَه بِهِ مُكَذِّبٌ» وَقَالَ أَيْضاً «آيَةُ المُنَافِقِ ثَلَاثَةٌ: إِذَا حَدَّثَ كَذَبَ، وَإِذَا وَعَدَ أَخْلَفَ، وَإِذَا اؤْتُمِنَ خَانَ» وَقَدْ سَمَّاهُ العَرَبُ فِى الجَاهِلِيَّةِ بِالأَمِينِ لِكَثْرَةِ أَمَانَتِهِ. وَقَالَ تَعَالَى فِى وَصْفِ المُؤْمِنِينَ (وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمَانَتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ) وَقَالَ أَيْضًا (إِنَّ اللهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الأَمَانَاتِ إِلَى أَهْلِهَا) وَقَوْلَهُ «أَنْ تُؤَدُّوا الأَمَانَاتِ إِلَى أَهْلِهَا» اشْتَمَلَ مَا كَانَ لِلهِ مِنَ العِبَادَاتِ وَمَا كَانَ لِلْخَلْقِ مِنَ الحَقِّ، وَيَدْخُلُ فِى ذَلِكَ

رَدُّ الوَدَائِعِ وَتَرْكُ النَّقْصِ فى الكَيْلِ وَالوَزْنِ والإعْرَاضِ عَنْ عُيوبِ النَّاسِ وَسَبِّهِمْ . وَيَدْخُلُ فِيها أيْضاً نَصِيحَةُ العُلَمَاءِ فى العَوَامِّ بِأَنْ يُرْشِدوهُمْ إلى مَا يَنْفَعُهُمْ وَيَدْخُلُ فِيهَا أيْضًا أمَانَةُ الإنْسَانِ مَعَ نَفْسِهِ بِأنْ لاَيَخْتَارُ لَهَا إلاَّ مَا هو أنفع وَأَصْلَحُ لَهَا فى الدِّين وَالدُّنْيَا .

فَمِنْ ذَلِكَ يَرَى كُلُّ ذِى حَظٍّ عَظيمٍ أنَّ الأَمَانَةَ شَىْءٌ ثَقِيلٌ فى الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ . فَإِيَّاكَ يَا أَخِى أَنْ يَغُرَّكَ طَمَعُكَ فَيُدْخِلَكَ فى مَا يَضُرُّكَ وَيُوقِعُكَ فِى المَهَالِكِ فَتَخْسَرُ دُنْيَا وَأُخْرَى .

فَاجْعَلْ يَا أَخِى الأَمَانَةَ مِنْ أَهَمِّ صِفَاتِكَ ، فَإِذَا شَاهَدْتَ أمراً فَأَخبِرْ عَنْهُ كَما رَأَيْتَ ، وَإِنْ كُلِّفْتَ نَقْلَ حَدِيث فَانْقُلْهُ عَلَى حَقيقَتِهِ ، وَإِنْ اسْتَوْدَعَكَ صَاحِبٌ لَكَ كِتَاباً أَوْ مَالاً فَرُدَّهُ إِلَيْهِ عِنْدَ طَلَبِهِ، وَإِنْ عَثَرْتَ عَلَى شَىْءٍ ضَائِعٍ فَاجْتَهِدْ فِى رَدِّهِ إلى صَاحِبِهِ. وَإِنْ كُنْتَ مُوَظَّفاً أَوْ طَبِيباً أَوْ تَاجِراً أَوْ مُحَامِياً ، فَكُنْ مِثَالاً لِلأَمَانَةِ فى تَأْدِيَةِ أَعْمَالِكَ .

الدرس السادس

« الْوَفَاءُ بِالْعَهْدِ »

الْوَفَاءُ بِالْعَهْدِ هُوَ الاسْتِمْرَارُ عَلَى مَا اتُّفِقَ عَلَيْهِ وَعَدَمُ الانْصِرَافِ عَنْ ذٰلِكَ .

إِذَا اتَّفَقْتَ مَعَ صَاحِبِكَ عَلَى أَنَّكُمَا فِى يَوْمِ الْجُمُعَةِ تَذْهَبَانِ إِلَى بَيْتِ مُعَلِّمٍ عَصْراً . عَلَى أَنْ تَجْتَمِعَا فِى مَحَلٍّ كَذَا ، وَجَاءَ الْيَوْمُ وَالْوَقْتُ فَذَهَبَ صَاحِبُكَ إِلَى ذٰلِكَ المَحَلِّ وَوَجَدَكَ هُنَاكَ مُنْتَظِراً لَهُ وَذَهَبْتُمَا هُنَالِكَ ـ صِرْتَ مُوَفِّياً بالْوَعْدِ . وَأَمَّا إِذَا ذَهَبَ وَلَمْ يَجِدْكَ وَانْتَظَرَ كُلَّ الانْتِظَار إِلَى وَقْتِ الْغُرُوبِ فَلَمْ يَرَكَ ـ أَصْبَحْتَ نَاكِثاً لِلْوَعْدِ .

وَإِذَا كُنْتَ مِنَ الصُّنَّاعِ ، كَأَنْ كُنْتَ خَيَّاطاً مَثَلاً ، وَجَاءَكَ وَاحِدٌ بِلِبَاسِهِ وَنُقُودِ الْخِيَاطَةِ ، وَسَأَلَكَ مَتَى يَرْجِعُ لِيَأْخُذَ ثَوْبَهُ ، فَقُلْتَ فِى يَوْمِ الْخَمِيسِ وَعِنْدَ الْعَصْرِ مَثَلاً ، وَجَاءَ فِى ذٰلِكَ الْوَقْتِ وَوَجَدَهَا مُخَيَّطَةً كَمَا اتَّفَقْتُمَا ، وَذَهَبَ بِهَا ـ فَأَنْتَ مُوَفٍ لِلْعَهْدِ . وَأَمَّا إِذَا جَاءَكَ فَقُلْتَ لَهُ : وَاللهِ مَنَعَنِى كَذَا فَمَا وَجَدْتُ الْفُرْصَةَ وَلٰكِنِ ارْجِعْ إِلَيَّ غَداً صَبَاحاً ـ فَقَدْ خَالَفْتَ الْوَعْدَ وَنَكَثْتَ .

« فَضلُ الْوَفَاءِ بِالْعَهْدِ »

فَالمُوفِى بِالْعَهْدِ يَكُونُ مَحْبُوباً عِنْدَ كُلِّ وَاحِدٍ ، لِأَنَّهُ إِذاً يَكُونُ مُحَافِظاً عَلَى مَوَاعِيدِهِ مَعَ إِخْوَانِهِ ، وَلَمْ يُذِقْهُمْ مَرَارَةَ الانْتِظَارِ وَيُعَطِّلْ عَلَيْهِمْ أَوْقَاتَهُمْ ، فَإِنَّهُمْ يُسَرُّونَ مِنْهُ وَيُحِبُّونَهُ كَثِيراً .

وَكَذٰلِكَ الصَّانِعُ المُوفِى بِالْوَعْدِ ، يُقْبِلُ عَلَيْهِ النَّاسُ وَيَثِقُونَ بِهِ . وَكَذٰلِكَ التَّاجِرُ وَالْعَامِلُ وَالطَّبِيبُ .

وَكَانَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَشْهُوراً بِالْوَفَاءِ فِى صِغَرِهِ وَكِبَرِهِ . وَمِنْ ذٰلِكَ أَنَّ رَجُلاً وَعَدَهُ (قَبْلَ البِعْثَةِ) أَنْ يَأْتِيَهُ فِى مَكَانٍ ، فَوَافَاهُ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِالمَكَانِ ثَلَاثَ لَيَالٍ مُتَتَابِعَاتٍ ، وَقَدْ كَانَ يَكْرَهُ مَنْ يُخْلِفُ الْوَعْدَ وَيُسَمِّيهِ مُنَافِقاً كَذَّاباً . كَمَا تَرَى فِى الحَدِيثِ السَّابِقِ . (عَلَامَةُ المُنَافِقِ الخ) وَقَدْ قَالَ أَيْضًا (لَا إِيمَانَ لِمَنْ لَا أَمَانَةَ لَهُ ، وَلَا دِينَ لِمَنْ لَا عَهْدَ لَهُ) وَقَالَ (حُسْنُ الْعَهْدِ مِنَ الإِيمَانِ) وَقَالَ أَيْضاً (خَيْرُكُمْ قَرْنِى ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ ، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ ثُمَّ يَكُونُ بَعْدِى قَوْمٌ يَشْهَدُونَ وَلَا يُسْتَشْهَدُونَ وَيَخُونُونَ وَلَا يُؤْتَمَنُونَ . وَيَنْذِرُونَ وَلَا يُوفُونَ ، وَيَظْهَرُ فِيهِم السِّمَنُ) . والسِّمَنُ يَنْشَأُ عَنِ التَّوَسُّعِ فِى المَآكِلِ

وَالْمَشْرَبِ . وَقَالَ تَعَالَى (وَأَوْفُوا بِعَهْدِ اللهِ إِذَا عَاهَدْتُمْ وَلاَ تَنْقُضُوا الْأَيْمَانَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا وَقَدْ جَعَلْتُمُ اللهَ عَلَيْكُمْ كَفِيلاً ، إِنَّ اللهَ يَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ) وَقَالَ أَيْضًا (وَأَوْفُوا بِالْعَهْدِ إِنَّ الْعَهْدَ كَانَ مَسْئُولاً) ، وَقَالَ عَلِيٌّ كَرَّمَ اللهُ وَجْهَهُ :

إِذَا مَا الْمَرْءُ لَمْ يَحْفَظْ ثَلاَثًا ... فَبِعْهُ وَلَوْ بِكَفٍّ مِنْ رَمَادِ
وَفَاءٌ لِلصَّدِيقِ وَبَذْلُ مَالٍ ... وَكِتْمَانُ السَّرَائِرِ فِى الْفُؤَادِ

وَلِذَا أَنَا أَقُولُ :

ثَلاَثَةٌ عَلاَمَةُ الْمُنَافِقِ ... فَخُذْ بِهَا يَا ابْنَ أَخِى تُوَفَّقِ
الْكِذْبُ خُلْفُ الْعَهْدِ ثُمَّ أَلْحِقِ ... كُلَّ الْخِيَانَاتِ فَلاَ تُفَارِقِ

فَحَافِظْ يَا أَخِى الْعَاقِلُ عَلَى الْوَفَاءِ بِوَعْدِكَ تَكُنْ مُحْتَرَمًا بَيْنَ إِخْوَانِكَ مَوْثُوقًا فِى كَلاَمِكَ .

الدرس السابع

(الصَّبْرُ)

الصَّبْرُ هُوَ تَحَمُّلُ الشَّدَائِدِ وَعَدَمُ الشَّكَايَةِ وَهُوَ عَكْسُ الْجَزَعِ .

إِذَا كَانَ لَكَ أَخٌ أَسَاءَ إِلَيْكَ وَكَانَ يُمْكِنُ لَكَ أَنْ تُجَازِيَهُ بِنَفْسِكَ فَتَرَكْتَ - كُنْتَ صَابِرًا ، وَكَذَلِكَ إِذَا شَتَمَكَ أَحَدٌ

أَوْ ضَرَبَكَ أَوْ كَذَبَ عَلَيْكَ أَوْ سَعَى فِي أَيِّ شَيْءٍ يُكَدِّرُ نَفْسَكَ ، فَتَرَكْتَهُ مَعَ الْقُدْرَةِ عَلَيْهِ – سَمَّاكَ قَوْمُكَ صَبُورًا .

(فَضْلُ الصَّبْرِ)

الصَّبْرُ مِنْ أَحْلَى وَأَبْهَى خُلُقٍ لِلْإِنْسَانِ ، لِأَنَّهُ هُوَ السَّبَبُ فِي إِطْفَاءِ الْفِتَنِ . كَمَا أَنَّ الجَزَعَ هُوَ الْأَصْلُ فى إِفْشَاءِ الْفِتَنِ . وَأَيْضًا إِذَا تَخَاصَمَ مَثَلاً مُحَمَّدٌ الصَّابِرُ ، وَزَيْدٌ الجزِعُ ، فَبِمُجَرَّدِ أَنْ يُشَاهِدَ النَّاسُ خُصُومَتَهِمَا من غَيْرِ بَحْثٍ يُسْنِدُونَ الصَّبْرَ إِلَى مُحَمَّدٍ الصَّابِرِ لِمَعْرِفَةِ أَنَّهُ لَا يُشَاجِرُ أَحَدًا حَتَّى يَشْتَدَّ الْأَمْرُ عَلَيْهِ . وَأَمَّا زَيدٌ غَيْرُ الصَّابر ، فَإِنَّهُمْ يُسْنِدُونَ اِلَيْهِ عَدَمَ الصَّبْرِ ، لأَنَّهُ المَعْرُوفُ بِالمُشَاجَرَةِ وَالْغَضَبِ . فَلِذٰلِكَ نَرَى أَنَّ مُحَمَّدًا أَصْبَحَ مَحْمُوداً مَشْكُورًا مَحْبُوبًا يَشْهَدُ لَهُ كُلُّ وَاحِد ، وَأَمَّا زَيْدٌ فَأَصْبَحَ مَذْمُومًا مَمْقُوتًا عِنْدَ النَّاسِ يَشْهَدُ عَلَيْهِ كُلُّ وَاحِد . قَالَ بَعْضُ الحُكَمَاء « أَصْلُ كُلِّ نُور الصَّبْرُ وَأَصْلُ كُلِّ نَار الْغَضَبُ » وَمِنْ أَعْظَمِ مَا وَرَدَ فى فَضْلِ الصَّبْر قَوْلُهُ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : (إِنَّ اللهَ لَيُجَرِّبُ أَحَدَكُمْ بِالْبَلَاءِ كَما يُجَرِّبُ أَحَدُكُمْ ذَهَبَه بالنَّارِ فَمِنهمْ مَنْ يَخْرُجُ كَالذَّهَبِ الإِبْرِيزِ (أى الخَالص) فَذٰلِكَ الَّذى حَمَاه اللهُ مِنَ الشُّبُهَاتِ ، وَمِنْهم مَنْ يَخْرُجُ كَالذَّهَبِ الأَسْوَدِ

فَذٰلِكَ الَّذى افْتُتِنَ) وَقَالَ أَيْضًا (مَا يُصِيبُ المُؤْمِنَ مِنْ نَصَب (أَىْ تَعَب) وَلَا وَصَب (أَىْ مَرَض) وَلَاهَمّ وَلَا حَزَن ولا غَمّ حَتَّى الشَّوْكَةُ يُشَاكُهَا إِلَّا كَفَّرَ اللهُ بِهَا مِنْ خَطَايَاه) ! وقَدْ رُوِىَ أَنْ رَجُلاً قَالَ لِلنَّبى صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : «أَوْصِنِى». قَالَ «لَا تَغْضَبْ» فَرَدَّدَ مِرَارًا . فَقَالَ « لَا تَغْضَبْ » رَوَاهُ الْبُخَارِىُّ . وَكَانَ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ : « وَإِذَا غَضِبَ أَحَدُكُمْ فَلْيَسْكُتْ » .

وَقَدْ بَشَّرَ اللهُ سُبْحَانَه وَتَعَالَى الصَّابِرِينَ بِنِعَمِهِ وَوَصَفَهُمْ بِأَجْمَلِ وَصْفٍ . فَقَالَ (وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ ، الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمْ مُصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلّٰهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ ، أُولٰئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولٰئِكَ هُمُ المُهْتَدُونَ) وَقَالَ أَيْضًا (وَاسْتَعِينوا بالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ إِنَّ اللهَ مَعَ الصَّابرينَ) .

وَلِذَا أَنَا أَقولُ :

الصَّبْرُ زَيْنٌ وَقَلَّ اليَوْمَ فَاعِلُـــه
وَالْغَضبُ أَسْرَعُ مَا يَأْتِيكَ بِالنَّدَمِ
فَاصْبِرْ وَلَا تَغْضَبْ إِنْ شِئْتَ مَرْتَبَةً
تَعلو بهَا فَوْقَ كُلِّ النَّاسِ كَالنَّجْمِ

طَرِيقَةُ الصَّبْرِ ، فَاسْكُتْ سَاعَةَ الْغَضَبِ

وَلَا تَبُحْ بِكَلَامٍ صَاحِ تَسْتَلِمِ

فَإِنَّما النَّارُ أَوَّلُهَا الدُّخَانُ وَأَ

وَّلُ الحَرْبِ قَدْ يَأْتِي مِنَ الَّلمَمِ

فَعَلَيْكَ بالصَّبْرِ فِي كُلِّ حَالٍ وَالْعَفْوِ عِنْدَ المَقْدِرَةِ تَفُزْ بِخَيْرَي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ ، وَإِيَّاكَ وَالْغَضَبَ فَإِنَّهُ أَصْلُ كُلِّ فِتْنَةٍ تُؤَدِّي إِلَى سَفْكِ الدِّمَاءِ وَقَتْلِ الأَنْفُسِ وَإِتْلَافِ المَالِ ، نَعوذُ باللهِ ! آمِينَ .

الدرس الثامن

(حُسْنُ المُعَامَلَةِ)

حُسْنُ المُعَامَلَةِ هُوَ أَنْ يَكُونَ بَيْنَكَ وَبَيْنَ كُلِّ وَاحِدٍ خَيْرٌ وَإِخْلَاصٌ فِي الْعَمَلِ .

يَجِبُ أَيُّهَا الأَخُ أَنْ يَكُونَ بَيْنَكَ وَبَيْنَ جَمِيعِ النَّاسِ مِنَ الإِخْوَانِ وَالأَصْحَابِ وَالْجِيرَانِ وَغَيْرِ ذٰلِكَ لُطْفٌ وَعَمَلُ خَيْرٍ وَعَدَمُ الشُّحِّ لِلنَّفْسِ وَمُعَاوَنَةٌ وَنَصَائِحُ لاتِّبَاعِ الخَيْرِ وَاجْتِنَابِ الشَّرِّ وَقَوْلِ الخَيْرِ وَالسُّكُوتِ عَنِ الشَّرِّ ، وَإِذَا قَطَعَكَ أَحَدٌ مِنْهُمْ وَصَلْتَ

رَحِمَه . وَأَنْ تُحْسِنَ إِلَى مَنْ أَسَاءَ إِلَيْكَ . وَأَنْ تَعْفُوَ عَمَّنْ ظَلَمَكَ فَإِنَّه رُبَّمَا يَنْدَمُ عَلَى فِعْلِهِ وَلَا يَعودُ مَرَّةً ثَانِيَةً ، وَيَصيرُ لَكَ بِمَنْزِلَةِ الصَّدِيقِ الْقَرِيبِ الْمُخْلِصِ بَعْدَ أَنْ كَانَ لَكَ عَدُوًّا مُبِينًا ! وَأَمَّا إِنْ قَابَلْتَه بِمِثْلِ مَا فَعَلَ فَلَا فَرْقَ إِذًا بَيْنَكُمَا . وَأَيْضًا تُوَقِّرُ كُلَّ كَبيرٍ وَتَرْحَمَ كُلَّ صَغِيرٍ ـ فَأَنْتَ إِذًا مِنْ أَكْمَلِ النَّاسِ فِى حُسْنِ الْمُعَامَلَةِ .

(فَضْلُ حُسْنِ الْمُعَامَلَةِ)

إِذَا كَانَ بَيْنَكَ وَبَيْنَ كُلِّ وَاحِدٍ مُعَامَلَةٌ حَسَنَةٌ فَلَا غَرْوَ أَنَّ جَمِيعَ النَّاسِ يُحِبُّونَكَ وَيُعَظِّمونَكَ وَيَتَمَنَّوْنَ لَكَ كُلَّ الْخَيْرِ ، وَتَكونُ مُقْتَدِيًا بِصَاحِبِ الْأَخْلَاقِ الْحَسَنَةِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، إِذْ كَانَ يُعَامِلُ أَصْحَابَهُ حَتَّى لَا يَظُنَّ أَحَدٌ أَنَّه يُحِبُّ فُلَانًا أَكْثَرَ مِنْ فُلَان ، وَكَانَ عِنْدَمَا يُلَاقِى شَدَائِدَ الْكُفَّار وَإِهَانَتِهِمْ يَقولُ «اللَّهُمَّ اهْدِ قَوْمِى فَإِنَّهمْ لَا يَعْلَمونَ » وَقَدْ ذَكَرَ فِى ذٰلِكَ أَحَادِيثَ كَثِيرَةً . مِنْهَا (كُلُّ مَعْرُوف صَدَقَةٌ) ، وَقَالَ (قولوا خَيْرًا تَغْنَموا ، وَاسْكُتوا عَنْ شَرٍّ تَسْلَموا) ، وَقَالَ أَيْضًا : (وَصِلْ مَنْ قَطَعَكَ ، وَأَحْسِنْ إِلَى مَنْ أَسَاءَ إِلَيْكَ) ، وَقَالَ أَيْضًا (الدَّالُّ عَلَى الْخَيْرِ كَفَاعِلِهِ ، وَالدالُّ عَلَى الشَّرِّ كَفَاعِلِهِ) ، وَقَالَ (خَيْرُكُمْ خَيْرُكُم

لِأَهْلِهِ) وَقَالَ (الْعَفْوُ لَا يَزِيدُ الْعَقْلَ إِلَّا عِزًّا ، وَالتَّوَاضُعُ لَا يَزِيدُهُ إِلَّا رِفْعَةً ، وَمَا نَقَصَ مَالٌ مِنْ صَدَقَةٍ) وَقَالَ (لَا يَمْنَعُكُم مِنَ الْمَعْرُوفِ صَغِيرُهُ) وَغَيْرَ ذٰلِكَ مِنَ الْأَحَادِيثِ الَّتِى تَحُثُّ عَلَى فِعْلِ الْمَعْرُوفِ وَالْإِحْسَانِ إِلَى النَّاسِ .

انْظُرْ يَا أَخِى إِلَى قَوْلِهِ تَعَالَى أَيْضًا (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ارْكَعُوا وَاسْجُدُوا وَاعْبُدُوا رَبَّكُمْ وَافْعَلُوا الْخَيْرَ لَعَلَّكُم تُفْلِحُونَ) وَقَالَ أَيْضًا (وَأَحْسِنُوا إِنَّ اللّٰهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ) وَقَالَ أَيْضًا (وَلَا تَسْتَوِى الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ ، ادْفَعْ بِالَّتِى هِىَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِى بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِىٌّ حَمِيمٌ) !

وَلِذَا أَقُولُ :

عَامِلْ بِحُسْنٍ مِنَ الْأَخْلَاقِ كُلَّ فَتًى ... وَكُلَّ شَيْخٍ وَلُطْفٍ وَاجْتَنِبْ جَدَلَا
بِرَأْفَةٍ وَاحْتِرَامٍ وَالتَّسَامُحِ إِنْ ... شِئْتَ النَّجَاةَ كَمَا قَدْ نَالَهَا الْعُقَلَا
وَإِنْ تُعَامِلْهُمْ بِالْعَكْسِ وَالشَّنَعِ ... تَلْقَى كَرِيهًا كَمَا لَاقَى مِنَ الْجُهَلَا
كَمَا تَدِينُ تُدَانُ قَدْ جَرَى مَثَلًا ... وَلَسْتَ تَحْصُدُ إِلَّا مَا زَرَعْتَ حَلَا

فَانْظُرْ يَا أَخِى نَظَرَ عَاقِلٍ مُعْتَبِرٍ ، كَيْفَ حَثَّ اللّٰهُ وَنَبِيُّهُ صَلَّى اللّٰهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى فِعْلِ الْخَيْرَاتِ وَالْإِحْسَانِ ! تَعْرِفُ إِذْ ذَاكَ أَنَّهُ مِنْ أَطْيَبِ الْخِصَالِ ، فَاجْتَهِدْ فِى ذٰلِكَ تَفُزْ بِخَيْرَى الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ .

الدرس التاسع

(التَّوَاضُعُ)

التَّوَاضُعُ هوَ عدَمُ الْكِبْرِ وَخَفْضِ الجَنَاحِ لِسَائِرِ الإِخْوَانِ وَالبَشَاشَةُ لِكُلِّ صَغيرٍ وَكَبيرٍ ، وَالمُوَاسَاةُ لَهُمْ .

إذَا ذَهَبْتَ أَنْتَ وَأَصْحابَكَ إلَى السُّوقِ وَاشْتَرَيْتُمْ أَشْيَاء مِنْهَا وَحَمَلَ كُلٌّ مَتَاعَه إلَى البَيْتِ ، إلاَّ أَنْتَ فَحَمَّلْتَهُ غَيْرَكَ لَا لِأَنَّهُ ثَقيلٌ وَلَا تَسْتَطِيعُ حَمْلَه ، بَلْ تَكَبُّراً وَعَظَمَةً لِلنَّفْسِ ، فَأَنْتَ مُتَكَبِّرٌ لَا مُتَوَاضِعٌ وَأَمَّا إذَا حَمَلْتَهُ بِنَفْسِكَ كَسَائِرِ الإخْوَانِ ، فَأَنْتَ مُتَوَاضِعٌ كَبَاقِى الأَصْحَابِ .

وَكَذٰلِكَ إذَا كُنْتَ بَيْنَ إخْوانِكَ أَوْ أَصْحَابِكَ تعْبَسُ فى وُجوهِهِمْ وَلَا تَبَشُّ لَهُمْ ، وَلَا تُصَافِحهُمْ وَلَا تُحَيِّيهِمْ وَلَا تُعَامِلُهُمْ مُعَامَلَةَ الأَخِ لِأَخيهِ ، بَلْ تُعَامِلهُمْ مُعَامَلَةَ مَلِكٍ جَبَّارٍ ، وَتَرَى نَفْسَكَ بَيْنَهُمْ كَالجَبَلِ الطَّوِيلِ الشَّاهِقِ ، وَهُمْ كَالْبَهائِمِ أَوْ الهَبَاءِ المَنْثُورِ - فَأَنْتَ مِنْ أَقْبَحِ الْخَلْقِ خُلُقًا وَأَقَلِّهِمْ جَاهًا .

وَاعْلَمْ أَنَّ التَّكَبُّرَ رُبَّما يَحْدُثُ مِنْ أَشْيَاء وَهِىَ العِلْمُ وَالمُلْكُ والغِنَى وَأَمَّا مِنْ غَيْرِهَا فهُوَ الجُنونُ .

(فَضلُ التَّوَاضُع)

إذَا كُنْتَ مُتَوَاضِعًا لِلنَّاسِ فلَا رَيْبَ أَنَّهُ يُعَظِّمُكَ كُلُّ كَبير وصَغِيرٍ ، فَأَنْتَ تَرَى نَفْسَكَ صَغِيرًا وَهُمْ يَرَوْنَكَ كَبيرًا عظيماً . وَأَمَّا إذَا كُنْتَ مُتَكَبِّرًا عَلَيْهِمْ فَلَا شَكَّ تَكونُ مَمْقُوتًا عِنْدَ اللهِ وَالنَّاسِ أَجْمَعين.

وَإذَا كُنْتَ مُتَوَاضِعًا عَمِلْتَ تَمامًا بمَا أَمَرَكَ بهِ اللهُ وَرَسُولُه الكَرِيمُ ، وَتَأَسَّيتَ بهِ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ ، فَإنَّهُ كَانَ يَحْمِلُ مَتَاعَهُ وَكُلَّ مَا اشْتَرَى لِنَفْسِهِ مِنَ السُّوق إلَى الْبَيْتِ ، وَإذَا أَرَادَ أَحَدٌ مِنَ الصَّحَابَةِ إعَانَتَهُ قَالَ مَا مَعْنَاهُ : لَا ، صَاحِبُ الشَّىْء أَحَقُّ بهِ أَنْ يَحْمِلَهُ إلَّا أَنْ يَكونَ ضَعِيفًا يَعْجزُ عَنْهُ فَيُعينُه أخوهُ المُسْلِمُ. وَقَدْ رُوِىَ أَيْضًا أَنَّهُ يَوْمًا اشْتَرَى مَعَ ثَلَاثَةٍ مِنَ الصَّحَابَةِ شَاةٍ لِلأَكْلِ ، فَقَالَ أَحَدُهُمْ « عَلَىَّ ذَبْحُهَا » فَقَالَ الثَّانى « عَلَىَّ سَلْخُهَا » فَقَالَ الثَّالِثُ « عَلَىَّ طَبْخُهَا » فَقَالَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ « عَلَىَّ جَمْعُ الحَطَبِ » .

وَكَانَ يَقولُ مَا مَعْنَاهُ (مَنْ تَوَاضَعَ لِلهِ رَفَعَهُ اللهُ فَهُوَ فى نَفْسِهِ صَغيرٌ وفى أَعْيُنِ النَّاسِ عَظِيمٌ) وَمَنْ تَكَبَّرَ وَضَعَهُ اللهُ (فَهُوَ فى أَعْيُنِ النَّاسِ صَغِيرٌ وفى نَفْسِهِ كَبيرٌ ، وَحَتَّى هُوَ أَهْوَنُ عَلَيْكم مِنْ كَلْبٍ أَوْ

خِنْزِيرٍ) الحَدِيثَ . وَقَالَ أَيْضًا (أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّى أُوحِىَ إِلَىَّ أَنْ تَوَاضَعُوا أَلَا فَتَوَاضَعوا حَتَّى لَا يَبْغِى أَحَدٌ عَلَى أَحَدٍ وَلَا يَفْخَرُ أَحَدٌ عَلَى أَحَدٍ وَكُونوا عِبَادَ اللهِ إِخْوَانًا) وَقَالَ أَيْضًا (لَا يَفْخَرُ أَحَدُكم عَلَى أَحَدٍ فَإِنَّكمْ عَبيدُ الرَّبِّ وَالرَّبُّ وَاحِدٌ) وَقَدْ أَمَرَ اللهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى نَبِيَّهُ بِذلِكَ فَقَالَ (وَاخْفِضْ جَنَاحَكَ لِمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ المُؤْمِنِينَ) وَقَالَ تَعَالَى حِكَايَةً عَنْ وَصِيَّةِ لُقْمَانَ لِوَلَدِهِ (وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمْشِ فِى الْأَرْضِ مَرَحًا إِنَّ اللهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ) وَقَالَ أَيْضًا (وَلَا تَمْشِ فِى الْأَرْضِ مَرَحًا إِنَّكَ لَنْ تَخْرِقَ الْأَرْضَ وَلَنْ تَبْلُغَ الجبَالَ طُولاً) ، وَقَدْ وَصَفَ اللهُ تَعَالَى حَالَةَ الْإِنْسَانِ لِيُبْصِرَهَا وَيَعْرِفَ أَنَّهُ لَيْسَ عَلَى شَىْءٍ وَلَا يَنْبغى لَه التَّعَاظُمَ وَالتَّكَبُّرَ بقَوْلِهِ (قُتِلَ الْإِنْسَانُ مَا أَكْفَرَهُ ! مِنْ أَىِّ شَىْءٍ خَلَقَهُ ، مِنْ نُطْفَة خَلَقَهُ فَقَدَّرَهُ ، ثُمَّ السبِيلَ يَسَّرَهُ ، ثُمَّ أَمَاتَهُ فَأَقْبَرَهُ ، ثُمَّ إِذَا شَاء أَنْشَرَهُ) فَانْظُرْ جَيِّدًا فِى هٰذِهِ الآيَاتِ تَعْرِفْ أَنَّكَ لَسْتَ عَلَى شَىْءٍ حَتَّى تَتَكَبَّرَ أَيُّهَا المْسكِينُ الجَهُولُ المُتَظَاهِرُ بِجَهْلِهِ

وَاعْلَمْ أَيْضًا أَنَّ الْكِبْرَ هُوَ الَّذى أَخْرَجَ الشَّيْطَانَ مِنَ الرَّحْمَةِ وَهِىَ الجَنَّةُ بَعْدَ أَنْ كَانَ مَعَ المَلَائِكَةِ يَعْبُدُ رَبَّهُ ، فَلَمَّا خَلَقَ اللهُ

آدَمَ مِنْ تُرَاب أَمَرَهُمْ بِالسُّجودِ لَه فَسَجَدوا إلَّا إبْليسَ أَبَى واسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ ، فَطَرَدَهُ اللهُ مِنَ الجَنَّةِ مَمْقُوتًا مَلْعونًا فى الدُّنْيَا وَلَهُ فى الآخرَةِ عَذَابٌ أَلِيمٌ ، وَبِئْسَ الْقَرَارُ .

وَقَالَ سَيِّدُنَا عَلِيٌّ كَرَّمَ اللهُ وَجْهَهُ :

النَّاسُ مِنْ جِهَةِ التَّمْثيل أَكْفَاءُ ... أَبُوهُم آدَمٌ وَالْأُمُّ حَوَّاءُ
فَإنْ يَكُنْ لَهمُ فِى أَصْلِهِم فَخَرٌ ... يُفَاخِرونَ بِهِ فَالطِّينُ وَالمَاءُ

وَقَالَ بَعْضُ الحكماءُ :

تَوَاضَعْ تَكُنْ كَالنَّجْمِ لَاحَ لِنَاظِرٍ ... عَلَى طَبَقَاتِ المَاءِ وَهْوَ رَفِيعُ
وَلَاتَكُ كَالدُّخَانِ يَعْلو بِنَفْسِهِ ... إلَى طَبَقَاتِ الجَوِّ وَهْوَ وَضِيعُ
وَأَكْرَمُ أَخلَاقِ الْفَتَى وَأَجَلُّهَا ... تَوَاضُعُه لِلنَّاسِ وَهْوَ رَفِيعُ
وَأَقْبَحُ شَيْءٍ أن يَرَى المَرْءُ نَفْسَهُ ... رَفيعًا وَعِنْدَ الْعَالَمِينَ وَضيعُ

فَإِيَّاكَ يَا أَخِي وَالْكِبْرَ ، وَعَلَيْكَ بالتَّوَاضُعِ لِتَنْجُوَ فى الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ .

الدرس العاشر

(بِرُّ الْوَالِدَيْنِ)

بِرُّ الْوَالِدَيْنِ هُوَ طَاعَتُهمَا فِى أىِّ أمْرٍ حُلْوٍ أوْ مُرٍّ إلَّا فِى مَا فِيهِ عِصْيَانُ الرَّحْمٰنِ .

أُمُّكَ حَمَلَتْكَ فِى بَطْنِهَا تِسْعَةَ أشْهُرٍ ، وَوَضَعَتْكَ بِكُلِّ مَشَقَّةٍ لَا يَكَادُ يَعْرِفُهَا إلَّا مَنْ ذَاقَهَا ، وَأرْضَعَتْكَ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ ، وَهِىَ الَّتِى تَسْهَرُ لِتَنَامَ ، وَتَمْرَضُ لِمَرَضِكَ ، وَتَفْرَحُ لِفَرَحِكَ ، وَتَسْعَى فِى كُلِّ مَا يَزِيدُ فِى صِحَّتِكَ وَحُسْنِ حَالِكَ .

وَأبُوكَ هُوَ الَّذِى يَسْعَى فِى نَفَقَتِكَ وَكِسْوَتِكَ وَشِرَاءِ كُتُبِكَ وَيَعْتَنِى كُلَّ الاعْتِنَاءِ بِصِحَّتِكَ وَعَافِيَتِكَ .

فَإِذَا عَرَفْتَ ذٰلِكَ تَعْرِفُ أنَّكَ لَابُدَّ أنْ تَحْتَرِمَ وَالدَيْكَ وَتُعَظِّمَهُمَا وَتُطِيعَهُمَا وَتُحِبَّهُمَا ، وَتَسْعَى فِى كُلِّ مَا يُرْضِيهِمَا كَمَا سَعَيَا فِى كُلِّ مَا يَسُرُّكَ عِنْدَمَا كُنْتَ طِفْلاً صَغِيرًا . لأنَّ الَّذِى يُحْسِنُ إلَيْكَ فِى كُلِّ وَقْتٍ فِى حَالِ سَعَةٍ إذَا ضَاقَ عَلَيْهِ الأمْرُ فَلاَ بُدَّ أنْ تُعِينَهُ وَتُحْسِنَ إلَيْهِ مِثْلَمَا أحْسَنَ إلَيْكَ أوْ أكْثَرَ . وَمَعْرُوفٌ أنَّهُ لَا يُوجَدُ مَنْ يُمَاثِلُهمَا أوْ يُجَاوِزُهُمَا فِى الإحْسَانِ إلَيْكَ عِنْدَ ضَعْفِكَ وَقُدْرَتِهمَا .

(فَضْلُ برِّ الْوَالِدَيْنِ)

فَالَّذى يَبَرُّ وَالِدَيْهِ يَكونُ مَحْمُودًا عِنْدَهُمَا وَعِنْدَ سَائِرِ النَّاسِ . وَقَدْ حَثَّنَا اللهُ وَرَسُولُه عَلَى ذٰلِكَ كَثيرًا ، فَمِنْ ذٰلِكَ قَوْلُه عَلَيْهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ (الجَنَّةُ تَحْتَ أَقْدَامِ الْأُمَّهَاتِ) وَقَدْ رُوِىَ أَنَّهُ سَأَلَ وَاحِدٌ النَّبِىَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَقَالَ أَوْصِنِى : قَالَ (أُمَّكَ ، أُمَّكَ ، أَطِعْ أُمَّكَ ثُمَّ أَبَاكَ) وَقَالَ أَيْضًا : (إِذَا دَعَاكَ أَبَوَاكَ فَأَجِبْ أُمَّكَ) وَهٰذَا يَدُلُّ عَلَى أَنَّ الْأُمْ أَرْجَحُ عَلَى الْأَبِ . وَقَالَ فى حَقِّهِمَا مَعًا (برُّوا آبَاءَكُمْ تَبَرَّكُمْ أَبْنَاؤُكُمْ) وَقَالَ فى حَقِّهِمَا أَيْضًا (لَا يَجْزِى وَلَدٌ وَالِدَهُ إِلاَّ أَنْ يَجِدهُ مَمْلُوكًا فَيَشْتَرِيَهُ لِيُعْتِقَهُ) وَرُوِىَ عَن ابْنِ مَسْعُود قَالَ : سَأَلْتُ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَنْ أَىِّ الْعَمَلِ أَحَبُّ إِلَى اللهِ ؟ قَالَ : الصَّلاَةُ فِى وَقْتِهَا قُلْتُ : ثُمَّ أَىٌّ ، قَالَ برُّ الْوَالِدَيْنِ ، قُلْتُ : ثُم أَىٌّ قَالَ الجِهَادُ فى سَبِيلِ اللهِ . وَرُوِىَ أَيْضًا أَنَّ صَحَابِيًّا حَضَرَتْهُ الْوَفَاةُ فَأَرْسَلَ النَّبِىُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رَجُلَيْنِ إِلَيْهِ لِيُلْقِيَا عَلَيْهِ الشَّهَادَةَ ، فَفَعَلاَ ، فَلَمْ يَشْهَدْ . وَكَرَّرَا عَلَيْهِ فَلَمْ يَشْهَدْ !! فَأَخْبَرَا النَّبِىَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وسلَّمَ ، فَجَاء بِنَفسه فَلَقَّنَهُ إِيَّاهَا وَلَمْ يَشْهَدْ . فَسَأَلَ :

هَلْ كَانَ لَهُ مِنَ الأَبَوَيْنِ أَحَدٌ حَيٌّ ؟ فَقَالَ : نَعَمْ لى أُمٌّ بَعِيدَةٌ عَنِّى ، فَأَرْسَلَ النَّبِيُّ إِلَيْهَا ، فَأَبَتْ عَنْ ذٰلِكَ . وَأَرْسَلَ ثَانِيًا مُلِحًّا ، فَأَتَتْ وَهِيَ مُتَّكِئَةٌ عَلَى عَصى لَهَا ، فَسَأَلَهَا صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : لِمَ لَمْ تَجِيءْ مِنْ أَوَّلِ مَرَّةٍ ؟ فَقَالَتْ يَا رَسُولَ اللهِ ، أَنَا مَا امْتَنَعْتُ مِنْ إِجَابَةِ نِدَائِكَ وَإِنَّمَا عَقٌّ وَلَدى هٰذَا لِي . فَقَالَ لَهَا النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : وَهَلْ تَغْفِرِينَ لَهُ ؟ فَقَالَتْ : لاَ ، فَقَالَ « أَوَ تَخْتَارِينَ عَلَيْهِ جَهَنَّمَ ؟ » فَأَعْرَضَتْ عَنْ ذٰلِكَ ، فَأَمَرَ الصَّحَابَةَ أَنْ يَضْطَرِمُوا نَارًا،فَفَعَلُوا فَقَالَ لَهَا « الآنْ أُرِيحهُ مِنْ جَهَنَّمَ بِنَارِ الدُّنْيَا ، فَأَمَرَ بِوَضْعِهِ فَوْقَ النَّار ، فَلَمَّا رَأَتْ أَنَّهُ مُسْتَمِرٌّ فِي فِعْلِهِ وَشَاهَدَتْ ابْنَهَا فِي ذٰلِكَ الحَالِ رَأَفَتْ بِهِ وَبَكَتْ وَعَفَتْ عَنْهُ رَحْمَةً مِنْ أَنْ يُحْرَقَ بِالنَّار ، فَتَشَهَّدَ وَمَاتَ فِي الحَالِ .

وَقَالَ تَعَالَى (وَقَضَى رَبُّكَ الاَّ تَعْبُدوا إِلَّا إِيَّاهُ ، وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا ، إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِنْدَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلاَهُمَا فَلاَ تَقُلْ لَهُما أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُلْ لَهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا ، وَاخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُلْ رَبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِى صَغِيرًا » .

وَقَدْ قَالَ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ (مِنَ الْكَبَائِرِ شَتْمُ الرَّجُلِ وَالِدَيْه)

فَقِيلَ يَا رَسُولَ اللهِ : وَهَلْ يَسُبُّ الرَّجُلُ أَبَاهُ ؟ فَقَالَ (نَعَمْ يَسُبُّ ابَا رَجُلٍ فَيَسُبُّ أَبَاهُ وَيَسُبُّ أُمَّهُ فَيَسَبُّ أُمَّهُ) .

الآنَ تَعْرِفُ يَا أَخِي أَنَّ طَاعَةَ الوَالِدَيْنِ لَيْسَ بِشَيْءٍ مُهَانٍ حَقِيرٍ دِينًا وَعَادَةً وَعَقْلاً ، فَعَلَيْكَ حِينَئِذٍ أَنْ تُطِيعَهُمَا وَتَسْعَى فِيمَا يُرْضِيهِمَا مَا لَمْ يَكُنْ حَرَامًا فَلاَ يَصِحُّ أَنْ تُطِيعَهُمَا فِى ذٰلِكَ . قَالَ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ (لَا طَاعَةَ لِمَخْلُوقٍ فِى مَعْصِيَةِ الخَالِقِ) وَقَالَ تَعَالَى (وَوَصَّيْنَا الإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ حُسْنًا وَإِنْ جَاهَدَاكَ لِتُشْرِكَ بِى مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلاَ تُطِعْهُمَا إِلَىَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ) وَاجْتَهِدْ فِى ذٰلِكَ وَنَافِسْ لِتَفُوزَ فِى الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ .

الدرس الحادى عشر

(العَدْلُ)

العَدْلُ هُوَ أَنْ تُعَامِلَ كُلَّ وَاحِدٍ بِمَا يَسْتَحِقُّهُ مِنْ غَيْرِ نَقْصٍ وَلَا زِيَادَةٍ . وَلَوْ عَلَى نَفْسِكَ .

إِذَا كُنْتَ رَئِيسًا فِى مَحَلٍّ مَثَلاً وَتَشَاجَرَ ابْرَاهِيمُ المُحْسِنُ الَيْكَ مَعَ احْمَدَ الَّذِى لَا يُبَالِى بِشَأْنِكَ ، فَذَهَبَا إِلَيْكَ لِتُصْلِحَ بَيْنَهُمَا أَوْ لِتَحْكُمَ لِصَاحِبِ الحَقِّ عَلَى الآخَرِ ، فَبَحَثْتَ وَوَجَدْتَ إِبْرَاهِيمَ هُوَ

المُعْتَدِى فَحَكَمْتَ لِأَحْمَدَ عَلَيْهِ كُنْتَ رَئِيسًا عَادِلاً . بِأَنْ حَكَمْتَ عَلَى احْمَدَ أَوْ سَتَرْتَ الْأَمْرَ بَعْدَ ظُهورِهِ لَكَ مِنْ غَيْرِ رِضَى أَحْمَدَ ، كُنْتَ رَئِيسًا ظَالِمًا غَيْرَ أَهْلٍ لِلرِّيَاسَةِ .

وَإِذَا تَخَاصَمَ صَبِيَّانِ مَثَلاً وَكَانَ أَحَدُهُمَا أَخَاكَ ، وَبَحَثْتَ عَنِ الخُصومَةِ فَرَأَيْتَ أَنَّ الحَقَّ عَلَى أَخِيكَ وَحَكَمْتَ عَلَى أَخِيكَ كُنْتَ عَادِلاً ، وَأَمَّا إِذَا حَكَمْتَ لِأَخِيكَ عَلَى الآخَرِ كُنْتَ ظَالِمًا فى حُكْمِكَ غَيْرَ مُسْتَحِقٍّ لِلرِّيَاسَةِ أَيْضاً .

(فَضْلُ الْعَدْلِ وَقُبْحُ الظُّلْمِ)

إِذَا كُنْتَ عَادِلاً فى رِيَاسَتِكَ كُنْتَ مَحْبوبًا مُهَاباً عِنْدَ جَميعِ النَّاسِ ، وَأَيْضًا كُنْتَ مُقْتَدِياً بِخَيْرِ الرُّؤَسَاءِ مُحَمَّد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فى أَفْعَالِهِ وأَقْوَالِهِ ، فَقَدْ قَالَ : (كُلُّكُمْ رَاعٍ وَكُلُّ رَاعٍ مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ) وَقَالَ أَيْضًا (عَدْلُ سَاعَةٍ خَيْرٌ مِنْ عِبَادَةِ سَبْعِينَ سَنَة) وَقَالَ أَيْضًا : (مَنْ عَامَلَ النَّاس فَلَمْ يَظْلِمْهُمْ وَحَدَّثَهُمْ فَلَمْ يَكْذِبْهُمْ وَوَعَدَهُمْ فَلَمْ يُخْلِفْهُمْ فَهُوَ مِمَّنْ كَمُلَتْ مُروءَتُهُ ، وَظَهَرَتْ عَدَالَتُه ، وَوَجَبَتْ أُخُوَّتُه) وَقَالَ أَيْضًا (إِتَّقِ دَعْوَةَ المَظْلومِ فَإِنَّهُ إِنَّمَا يَسْأَلُ اللهَ حَقَّهُ وَإِنَّ اللهَ لَا يَمْنَعُ ذَا حَقٍّ

حَقَّهُ) وَقَالَ أَيْضًا : (اتَّقوا الظُّلْمَ فَإِنَّهُ ظُلُمَاتٌ يَوْمَ الْقِيَامَةِ)
وَلَقَدْ رُوِىَ أَنَّ النَّبِىَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ لِخَصْمَيْنِ يَوْمًا
(إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِثْلُكم وَأَنْتم تَخْتَصِمونَ إِلَىَّ وَلَعَلَّ بَعْضَكم أَلْحَنُ ،
- أَىْ أَبْيَنُ بِحُجَّتِهِ - مِنْ بَعْضٍ فَأَقْضِىَ لَه - أىْ عَلَى مَا أَسْمَعُ
مِنْهُ بِسَبَبِ قُوَّةِ حُجَّتِهِ عَلَى حُجَّةِ أخيه - فَإِنَّمَا أَقضى لَهُ قِطْعَةً
مِنْ نَارٍ) فَبَكَيَا وَقَالَ كُلٌّ وَاحِدٍ : حَقِّى لِصَاحِبِى . فَقَالَ لَهُمَا
عَلَيْهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ (اذْهَبَا فَتَوَخَّيَا) أى اقْصِدَا الحَقَّ فِيمَا
تَصْنَعَانِ مِنَ الْقِسْمَةِ .

وَقَالَ أَصْدَقُ الْقَائِلِينَ تَعَالَى : (يَا أَيُّهَا الَّذينَ آمَنُوا كُونوا
قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ شُهَدَاءَ للهِ وَلَوْ عَلَى أَنْفُسِكم أَوِ الْوَالِدينِ وَالْأَقْرَبينَ)
وَقَالَ أَيْضًا (وَلَا تَأْكُلوا أَمْوَالَكم بَيْنَكم بالْبَاطِلِ وَتُدْلُوا بِهَا إِلَى
الحُكَّامِ لِتَأْكُلوا فَرِيقًا مِنْ أَمْوَالِ النَّاسِ بالْإِثْم وَأَنْتم تَعْلَمونَ) .

وَقَالَ الشَّاعِرُ :

لَا تَظْلِمَنَّ إِذَا ما كُنْتَ مُقْتَدِرًا — فَالظُّلْمُ آخِرُه يَأْتِيكَ بِالنَّدَمِ
نَامَتْ عُيونُكَ وَالمَظْلوم مُنْتَبِهٌ — يَدْعو عَلَيْكَ وَعَيْنُ اللهِ لَمْ تَنَمِ

فَانْظُرْ يَا أَخِى وَتَأَمَّلْ وَفَكِّرْ بِكُلِّ عَقْلِكَ تَعْلَمْ أَنَّ الْعَدْلَ مِنْ أَعْظَمِ الْأَشْيَاءِ عِنْدَمَا تَقْرَأُ هٰذِهِ الآيِ الإِلٰهِيَّةِ وَالْأَحَادِيثِ النَّبَوِيَّةِ وَتَعْلَمُ أَيضاً أَنَّهُ هُوَ الْأَسَاسُ فى كُلِّ مُلْكٍ وَنِعْمَةٍ ، وَالظُّلْمُ هُوَ الَّذى يَهْدِمُ الْمُلْكَ هَدْمًا .

فَإِيَّاكَ وَظُلْمَ الْأَطْفَالِ الصِّغَارِ ، وَالدَّوَابِّ ، وَأَخْذِ الطُّيورِ لِلَّعِبِ بِهَا ، وَنَحْوِ ذٰلِكَ ، وَاتَّقِ اللهَ وَلَا تَظْلِمْ كَمَا لَا تُحِبُّ أَنْ تُظْلَمَ تَنْجَحْ فِى دِينِكَ وَدُنْيَاكَ .

الدرس الثانى عشر

(الطاعة)

الطَّاعَةُ هِىَ أَنْ تَنْقَادَ لِمَنْ هُوَ أَكْبَرُ مِنْكَ سِنًّا أَوْ عِلْمًا وَتَتَّبِعَ أَوَامِرَهُ .

إِذَا كَانَ لَكَ أَخٌ أَكْبَرُ مِنْكَ أَوْ مُعَلِّمٌ أَوْ غَيْرُهُمَا مِمَّنْ كَانَ أَكْبَرَ مِنْكَ وَكَانَ يُرْسِلُكَ إِلَى أَمَاكِنَ لِغَرَضٍ لَهُ ، وَأَنْتَ تَذْهَبُ وَلَا تَأْبَى وَلَا تَسْأَمُ ـ فَإِنَّكَ مُطِيعٌ ، وَإِذَا سَمِعْتَ قَوْلًا مِنَ اللهِ وَرَسُولِهِ أَوْ أُولِى الْأَمْرِ ، وَانْقَدْتَ إِلَى مَا قَالُوا وَأَمَرُوا بِهِ ـ فَأَنْتَ يَا أَخِى مِنْ أَكْمَلِ النَّاسِ فى الطَّاعَةِ .

(فَضْلُ الطَّاعَـةِ)

الطَّاعَةُ هِيَ أَصْلُ كُلِّ مَصْلَحَةٍ ، وَالْعِصْيَانُ أَصْلُ كُلِّ مَفْسَدَةٍ ، وَإِذَا كُنْتَ مُطِيعًا أَحَبَّكَ اللهُ وَالنَّاسُ وَرَاعَوا حَقَّكَ وَأَحْسَنُوا إِلَيْكَ كُلَّ الإِحْسَانِ وَرَحِمُوكَ ! وَأَيْضًا تَكُونُ قَدِ امْتَثَلْتَ لِخَيْرِ الْخَلْقِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حِينَ قَالَ (لَيْسَ مِنَّا مَنْ لَمْ يُوَقِّرْ كَبِيرَنَا وَيَرْحَمْ صَغِيرَنَا) وَقَالَ أَيْضًا يَوْماً لِأَبِي هُرَيْرَةَ (لَو اسْتُعْمِلَ عَلَيْكُم عَبْدٌ يَقُودُكُمْ بِكِتَابِ اللهِ فَاسْمَعُوا لَهُ وَأَطِيعُوا) وَفِي حَدِيثٍ قَالَ عُبَادَةُ ابْنُ الصَّامِتِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ (بَايَعْنَا رَسُولَ اللهِ عَلَى السَّمْعِ وَالطَّاعَةِ فِي الْعُسْرِ وَالْيُسْرِ وَالْمَنْشَطِ وَالْمَكْرَهِ وَعَلَى أَثَرَةٍ عَلَيْنَا وَأَنْ لَا نُنَازِعَ الْأَمْرَ أَهْلَهُ وَعَلَى أَنْ نَقُولَ بِالْحَقِّ أَيْنَمَا كَانَ لَا نَخَافُ لَوْمَةَ لَائِمٍ) .

فَيُؤْخَذُ مِنْ هٰذِهِ الْأَحَادِيثِ الْمَرْضِيَّةِ كُلِّهَا ، أَنَّهُ وَاجِبٌ عَلَى كُلِّ وَاحِدٍ أَنْ يَحْتَرِمَ مَنْ هُوَ أَكْبَرُ مِنْهُ سِنًّا أَوْ عِلْمًا ، إِنْ كَانَ مُسْلِمًا عَادِلًا غَيْرَ مُنْحَرِفٍ عَنِ الْحَقِّ ، وَإِلَّا فَتُسْتَحَبُّ دَفْعًا لِلْفِتَنِ النَّاشِئَةِ عَنْ عَدَمِ الطَّاعَةِ ، قَالَ تَعَالَى (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُم) أَي الْمُؤْمِنِينَ .

فَلِذَا كُنْ يَا أَخِى مُطِيعًا لِلّٰهِ وَلِرَسُولِهِ وَمَنْ هُوَ أَكْبَرُ مِنْكَ تَنْجَحْ فِى الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ .

الدرس الثالث عشر

(الشَّفَقَةُ)

الشَّفَقَةُ هِىَ الرَّحْمَةُ النَّاشِئَةُ فِى الْقَلْبِ لِمَنْ هُوَ أَضْعَفُ مِنْكَ . الصَّبِيُّ الَّذِى يَرْكَبُ الْحِمَارَ وَيَضْرِبُهُ بِسَوْطٍ كَبِيرٍ وَيَفْرَحُ وَالْحِمَارُ يَتَأَلَّمُ جِدًّا إِلَّا أَنَّهُ لَا يَسْتَطِيعُ الْكَلَامَ ، هُوَ الصَّبِيُّ الْقَاسِى الْقَلْبِ الَّذِى لَيْسَتْ عِنْدَهُ شَفَقَةٌ وَلَا رَحْمَةٌ ، وَكَذٰلِكَ إِذَا كُنْتَ تَأْخُذُ عُصْفُورًا وَتَرْبُطُ خَيْطًا طَوِيلًا بِرِجْلَيْهِ وَلَا تَتْرُكُهُ يَطِيرُ لِيَأْكُلَ وَيَسْتَرِيحَ وَيَعِيشَ كَمَا تَعِيشُ - فَأَنْتَ قَاسِى الْقَلْبِ أَيْضًا وَالَّذِى يَضْرِبُ صِبْيَانًا عَلَى الطَّرِيقِ أَوْ فِى مَحَلٍّ مَا بِغَيْرِ حَقٍّ لِيَبْكِىَ الصَّبِىُّ وَأَنْتَ تَفْرَحُ - فَأَنْتَ لَا إِيمَانَ لَكَ وَلَا شَفَقَةَ عِنْدَكَ .

وَكُلُّ مَنْ يَفْرَحُ وَيُسَرُّ عِنْدَ أَلَمِ غَيْرِهِ وَمُصِيبَتِهِ لَيْسَ شَفِيقًا وَلَا رَحِيمًا .

وَأَمَّا الصَّبِىُّ الَّذِى يُعِينُ الضَّعِيفَ وَيَسُرُّ الْحَزِينَ وَيَفْرَحُ عِنْدَ فَرَحِ غَيْرِهِ وَيَحْزَنُ عِنْدَ حُزْنِ غَيْرِهِ وَلَا يَضْرِبُ الصَّبِىَّ وَلَا يُتْعِبُ الدَّابَّةَ الْبَهِيمَةَ - فَهُوَ الصَّبِىُّ الصَّالِحُ الشَّفِيقُ الَّذِى عِنْدَهُ إِيمَانٌ وَرَحْمَةٌ .

(فَضْلُ الشَّفَقَة)

الشَّفيقُ يُحِبُّهُ كُلُّ حَيَوَانٍ نَاطِقٍ وَبَهِيمٍ ، وَيَتَمَنَّى لَه الْخَيْرَ ، كيْفَ وَقد اقتدى بأفْضَلِ الخَلاَئِقِ رَحْمَةً وَشفقَةً محمد صلى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إذْ كَانَ يَقولُ (مَنْ رَحِمَ وَلَوْ ذَبيحَةَ عُصْفُورٍ رَحِمَهُ اللهُ) وَقَالَ (لَعَنَ اللهُ مَنْ مَثَّلَ بالحَيَوَانِ) وَقَالَ (فُكُّوا الْعَانِيَ ، وَأَجِيبوا الدَّاعِيَ ، وَأَطْعِموا الْجَائِعَ ، وَعُودوا المَرِيضَ) وَقَالَ (شَرُّ بَيْتٍ بَيْتٌ فِيهِ يَتِيمٌ يُسَاءُ إلَيْهِ ، وَخَيْرُ بَيْت بَيْتٌ فِيهِ يَتِيمٌ يُحْسَنُ إلَيْهِ) وَقَالَ يَوْمًا لِعَائِشَةَ وَهِيَ عَلَى بَعير تَحُثُّه عَلَى السُّرْعَةِ وَتُحَوِّله حَيْثُ شَاءَتْ : مَا مَعْنَاهُ (عَلَيْكِ بالرِّفقِ ، وَاعْلمِي أَنَّنِي مَا أُرْسِلْتُ إلَّا رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ) وَكَانَ لَه خَادِمٌ يُدْعَى أَنَس ابْنَ مَالِك خَدَمَه عَشْرَ سِنِينَ فَمَا أَغْضَبَه قَطُّ ، وَمَا كَلَّفَه فَوْقَ طَاقَتِه ، وَمَا قَالَ لَه فى شَيْءٍ تَرَكَهُ لِمَ تَرَكْتَه ؟ وَقَدْ وَجَدَ عَلَيْهِ السَّلَامُ يَوْمًا هِرَّةً تَكَادُ تَهْلِكُ عَطَشًا فَأَمَالَ لَهَا الإِنَاء حَتَّى شَرِبَتْ ، وَغَيْرَ ذٰلِكَ مِمَّا لَا يَسَعُه كِتَابُنَا هٰذَا .

فَعَلَيْكَ يَا أَخِي بالشَّفَقَةِ وَالرِّفْقِ وَالرَّأفَةِ وَالرَّحْمَةِ لِمَنْ هُوَ أَصْغَرُ مِنكَ وَأَضْعَفُ ، لِتَفُوزَ فى الدُّنْيَا وَالآخِرَة .

الدرس الرابع عشر

(مَنْعُ الأَذَى)

الأَذَى هُوَ أَنْ تَفعَلَ مَا يُغْضِبُ غَيْرَكَ أَوْ يُحزِنُهُ من غَيْرِ سَبَب .

إِذَا كَانَتْ عَادَتُكَ سَبَّ النَّاسِ بِغَيْرِ حَقّ ، أَوْ اختِرَاعَ البُهْتَانِ عَلَيْهِمْ ، أَوْ غَيْرَ ذٰلِكَ مِنْ كُلِّ مَا يَتَأَلَّمُ غَيْرُكَ بِهِ - فَأَنْتَ مُؤْذٍ بِذٰلِكَ وأَنْتَ بِهِ مِنْ شَرِّ الخَلْقِ .

(فَضْلُ مَنع الأَذَى)

إِذَا كُنْتَ مِمَّنْ لَا يُؤْذِى إِنْسَاناً وَلَا حَيَوَانًا وَلَا طَيْرًا فَأَنْتَ مِنْ أَكْمَلِ النَّاسِ خُلُقًا وَأَطْيَبِهِمْ طَبِيعَةً ، فَتَكونُ إِذْ ذَاكَ مِنْ أَحَبِّ الْخَلْقِ عِنْدَهُمْ ، وَأَمَّا إِذَا كُنْتَ مُؤْذِيًا لِلنَّاسِ فَإِنَّكَ تُصْبِحُ مَمْقُوتًا عِنْدَ اللهِ وَالنَّاسِ ، وَقَدْ وَبَّخَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ المؤْذِى الشِّرِّيرَ كُلَّ تَوْبِيخ فى أَحَادِيثَ كَثِيرةَ : مِنْهَا قَوْلُه (المُسْلِمِ مَنْ سَلِمَ المُسْلِمونَ مِنْ يَدِهِ وَلِسَانِهِ) وَقَالَ (مَنْ رَدَّ عَنْ عِرْضِ أَخِيهِ رَدَّ اللهُ عَنْ وَجْهِهِ) وَقَالَ أَيْضًا (لَيْسَ بِمُؤْمِنٍ مَنْ لَمْ يَأْمَنْ جَارُه غَوائِلَه) وَقَالَ أَيْضاً (لَا يَجْنِى جَانٍ إِلَّا عَلَى نَفْسِهِ) وَقَالَ أَيْضاً

(شَرُّ النَّاسِ مَنْ أَكْرَمَهُ النَّاسُ اتِّقَاءَ شَرِّهِ) وَقَالَ أَيْضاً (تَرْكُ الشَّرِّ صَدَقَةٌ) وَقَالَ أَيْضًا (الْوِحْدَةُ خَيْرٌ مِنْ جَلِيسِ السُّوءِ) وَغَيْرَ ذٰلِكَ .

فَمِنْ ذٰلِكَ تَعْرِفُ يَا أَخِى أَنَّ مَنْ يُؤْذِى الخَلْقَ مِنْ أَقْبَحِ الخَلْقِ خُلُقًا ـ نَعوذُ باللهِ مِنْهُ آمينَ .

فَإِيَّاكَ يَا أَخِى إِنْ كُنْتَ تُرِيدُ لِنَفْسِكَ الخَيْرَ مِنْ أَذَى الخَلْقِ لِتُفْلِحَ فِى الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ .

الدرس الخامس عشر

(الاتِّحَادُ)

الاتِّحَادُ هُوَ الاجْتِمَاعُ وَالتَّآلُفِ لِغَرَضٍ مَا !

إِذَا أَرَدْتَ بِنَاءَ مَدْرَسَةٍ مَثَلاً وَلَيْسَ لَكَ تَمَامُ قُوَّةٍ وَقُدْرَةٍ عَلَى بِنَائِهَا ، فَنَصَحْتَ إِلَى أَصْحَابِكَ أَنْ يَجْتَمِعوا حَتَّى تَكُونُوا يَدًا وَاحِدَةً عِنْدَ الْبِنَاءِ ، وَرَضُوا بِذٰلِكَ بِكُلِّ مَوَدَّةٍ وَسُرُورٍ وَبَنَيْتُموهَا مَعًا ـ تَقُولُ فُلَانٌ وَأَصْحَابُهُ مُتَّحِدُونَ فِى أَعْمَالِهِمْ وَيُعَاوِنُ بَعْضُهُمْ بَعْضًا .

وَكَذٰلِكَ إِذَا أَصَابَ أَحَدَكُم مَرَضٌ مَثَلًا وَاضْطَرَّ لِلذَّهَابِ إِلَى المُسْتَشْفَى ، وَلٰكِنْ لَيْسَ عِنْدَهُ مِنَ النُّقودِ مَا يَكْفِى فِى أَجْرِ

الْمُسْتَشْفَى ، وَلَا مَا يَكْفِيهِ فِى بَعْضِ حَاجَاتِهِ الْأُخْرَى ، فَأَنْفَقْتُم عَلَى أَنْ تَقْضُوا لَهُ كُلَّ ذٰلِكَ مِنْ أَمْوَالِكُمْ حَتَّى يَبْرَأَ - فَأَنْتُم مِنْ أَكْمَلِ الْمُتَحَلِّينَ .

(فَضْلُ الاتِّحَادِ)

اعْلَمْ أَنَّ مِنْ أَسْبَابِ اسْتِقَامَةِ الْخَلَائِقِ وَتَقَدُّمِهِمْ فِى الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ الاتِّحَادَاتِ وَالْجَمْعِيَّاتِ ، لِأَنَّهَا هِىَ الْوَسِيلَةُ إِلَى ارْتِبَاطِ الْقُلُوبِ بَعْضِهَا بِبَعْضٍ وَاجْتِمَاعِهَا عَلَى كَلِمَةٍ وَاحِدَةٍ ، وَذٰلِكَ مِنْ أَهَمِّ أَسْبَابِ السَّعَادَةِ ، وَأَقْوَى دَوَاعِى الْمَوَدَّةِ ، وَأَعْظَمِ الْوَسَائِلِ لِلنَّصْرِ عَلَى الْأَعْدَاءِ ، وَنَشْرِ الْعَدَالَةِ وَالْعُمْرَانِ . وَذٰلِكَ لَا يُمْكِنُ إِلَّا بِالْمَوَدَّةِ الصَّادِقَةِ الْخَالِصَةِ ، وَعَدَمِ الشُّحِّ ، وَأَنْ تَعْمَلَ لِمَنْفَعَتِكَ وَمَنْفَعَةِ غَيْرِكَ وَقَدْ قَالَ تَعَالَى (وَمَنْ يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ) وَقَدْ وَرَدَ فِى ذٰلِكَ أَحَادِيثُ كَثِيرَةٌ : مِنْهَا قَوْلُهُ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ (اتَّقُوا الشُّحَّ فَإِنَّ الشُّحَّ أَهْلَكَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ ، حَمَلَهُمْ عَلَى أَنْ سَفَكُوا دِمَاءَهُمْ وَاسْتَحَلُّوا مَحَارِمَهُمْ) وَقَالَ أَيْضًا (لَا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّى يُحِبَّ لِأَخِيهِ مَا يُحِبُّ لِنَفْسِهِ) وَقَالَ (الْمُؤْمِنُونَ كَالْجَسَدِ الْوَاحِدِ إِذَا اشْتَكَى عُضْوٌ وَاحِدٌ تَدَاعَى

لَه سَائِرُ جَسَدِهِ بالحُمَّى وَالسَّهَرِ) وَقَالَ أَيْضًا (الْخَلْقُ كُلُّهُمْ عِيَالُ اللهِ فَأَحَبُّهُمْ إِلَيْهِ أَنْفَعُهُمْ لِعِيَالِهِ) وَقَالَ أَيْضًا (الإِنْسَانُ أَخُو الإِنْسَانِ أَحَبَّ أَمْ كَرِهَ) وَقَالَ أَيْضًا : (يَدُ اللهِ مَعَ الجَمَاعَةِ وَإِنَّمَا يَأْكُلُ الذِّئْبُ مِنَ الْغَنَمِ الْقَاصِيَةِ) وَقَالَ أَيْضًا (المَرْءُ كَثِيرٌ بِإِخْوَانِهِ ، وَلَا خَيْرَ فِي صُحْبَةِ مَنْ لَا يَرَى لَكَ مِنَ الحَقِّ مِثْلَ مَا تَرَى لَه) وَقَالَ أَيْضًا (كُونوا مُؤْلِّفِينَ وَلَا تَكونوا مُفَرِّقِينَ) وَقَالَ أَيْضًا : (إِنَّ أَحَبَّكُمْ إِلَى اللهِ الَّذينَ يَأْلَفون وَيُؤْلَفونَ ، وَإِنَّ أَبْغَضَكُمْ إِلَى اللهِ عَزَّ وَجَلَّ المَشَّاؤُونَ بالنَّميمَةِ المُفَرِّقُونَ بَيْنَ الإِخْوَانِ) وَقَالَ أَيْضًا (المُؤْمِنُ آلِفٌ مَأْلُوفٌ وَلَا خَيْرَ فِيمَنْ لَا يَأْلَفُ وَلَا يُؤْلَفُ) وَقَالَ أَيْضًا (المُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِ كَالْبُنْيَانِ يَشُدُّ بَعْضُهُ بَعْضًا) وَقَالَ أَيْضًا (مَثَلُ الأَخَوَيْنِ كَمَثَلِ الْيَدَيْنِ تَغْسلُ إِحْدَاهُمَا الأُخْرَى) وَغَيْرَ ذَلِكَ مِمَّا لَا يُعَدُّ وَلَا يُحْصَى .

وَقَالَ اللهُ تَعَالَى (وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا وَاذْكُروا نِعْمَةَ اللهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاء ، فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا ، وَكُنْتُم عَلَى شَفَا حُفْرَةٍ مِنَ النَّارِ فَأَنْقَذَكُمْ مِنْهَا كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللهُ لَكُمْ آيَاتِه لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ)

وَقَالَ (يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللهِ أَتْقَاكُمْ) وَكَمَا أَمَرَنَا اللهُ تَعَالَى بِالاتِّحَادِ نَهَانَا عَنِ التَّفَرُّقِ وَالتَّنَازُعِ وَالْخِذْلَانِ ، وَبَيَّنَ لَنَا عَاقِبَةَ ذٰلِكَ حِينَ يَقُولُ (وَلَاتَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ) أَيْ عَظَمَتُكُمْ وَقُوَّتُكُمْ وَاتِّحَادِ كَلِمَتِكُمْ .

وَقَالَ الشَّاعِرُ :

يَأْبَى الرِّمَاحُ إِذَا اجْتَمَعْنَ تَكَسُّرًا ... وَإِذَا افْتَرَقْنَ تَكَسَّرَتْ أَفْرَادًا

وَفِي هٰذَا الْمَعْنَى قُلْتُ :

إِنِّي رَأَيْتُ جِدَارَ الدَّارِ يَدْخُلُه ... وَذَبٌ إِذَا شُقَّ حَتَّى أَنَّهُ يَجْرِي

كَذَاكَ لَمْ تُكْسِرَ الْأَقْلَامُ إِنْ جُمِعَتْ

أَمَّا إِنِ افْتَرَقَتْ تَضْعُفْ وَتَنْكَسِرِ

فَالآنَ نَعْلَمُ مِنْ هٰذِهِ الآيِ الْكَرِيمَةِ وَالأَحَادِيثِ النَّبَوِيَّةِ الْمَرْضِيَّةِ وَالْأَشْعَارِ الْمَأْثُورَةِ أَنَّ الاتِّحَادَ شَيْءٌ عَظِيمٌ ، وَيُؤَيِّدُ هٰذَا عَقْلًا أَنَّ اللهَ خَلَقَ النَّاسَ مُخْتَلِفِي الْأَلْوَانِ وَالْأَشْكَالِ وَالْقُوَّةِ وَالضَّعْفِ وَالطُّولِ وَالْقِصَرِ وَالْغِنَى وَالْفَقْرِ وَالْعِزِّ وَالذُّلِّ وَغَيْرِ ذٰلِكَ ، وَأَنَّهُ مَا أَرَادَ

هٰذِه الاختِلَافَات إلَّا لِيُعِينَ كُلٌّ أخَاهُ فِيمَا لَيْسَ لَه قُدْرَةٌ عَلَيْهِ ، يُعِينُ الْقَوِىُّ الضَّعِيفَ وَالْغَنِىُّ الْفَقِيرَ وَغَيْرُ ذٰلِكَ . إِذْ لَوْ جَعَلَهُمْ سَوَاءً فى كُلِّ شَىْءٍ لمَا كَانَ هُنَالِكَ التَّعَارُفُ الْمُشَارُ إلَيْهِ فى الآيَةِ السَّابِقَةِ ، لِأَنَّ ذٰلِكَ لَا يَكونُ إلَّا عِنْدَ افتِقَارِ بَعْضِهِمْ إلَى بَعْضٍ ، وَلَا افتِقَارَ لِأَحَدٍ إلَى آخرَ حِينَئذٍ ، فَعَلَيْكَ إِذًا يَا أَخِى بالاتِّحَادِ وَالمَوَدَّةِ الصَّادِقَةِ بَيْنَ إِخْوَانِكَ تَنْجَحْ فى الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ .

الدرس السادس عشر

(المَشُورَةُ)

المَشُورَةُ هِىَ أَنْ تُدْلِى بِرَأْيِكَ إلَى غَيْرِكَ لِيَهْتَدِى بِهِ فِيمَا يَقْدِمُ عَلَيْهِ مِنَ الأُمورِ .

إِذَا كُنْتَ كَبِيراً لِقَوْمٍ فَأَرَدْتَ أَنْ تَفعَلَ شَيْئًا لَهُمْ مِنَ المَصْلَحَةِ ، ثُمَّ قَبْلَ أَنْ تُنَفِّذَ الأَمْرَ طَلَبْتَ مِنْهُمْ أَنْ يُسَدِّدُوه ، بِآرَائِهِمْ فَفَعَلوا ثُمَّ أَنْفَذْتَه ـ فَأَنْتَ آخِذٌ بالشُّورَى . وَكَذٰلِكَ إِذَا كُنْتَ بَيْنَ إِخْوَانِكَ وَأَرَدْتَ أَنْ تَفعَلَ شَيْئًا وَأَطْلَعْتَهُمْ عَلَى ذٰلِكَ ثُمَّ أَشَارُوا عَلَيْكَ بالصوَّاب فيه ـ فَأَنتَ عَاقِلٌ حَقًّا مُشَاوِرٌ لِلْجَمَاعَةِ .

abuda ... dacc

(فَضْلُ المَشُورَة)

تَكَلَّمْنَا عَلَى الاتِّحَادِ وَفَضْلِهِ الْعَمِيمِ ، فَاعْلَمْ الآنَ أَنَّ الاتِّحَاد يَفْشَلُ عِنْدَ تَرْكِ المَشُورَةِ . قَالَ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ (رَأْسُ الْعَقْلِ بَعْدَ الْإِيمَانِ التَّوَدُّدُ إِلَى النَّاسِ ، وَمَا اسْتَغْنَى مُسْتَبِدٌ بِرَأْيِهِ ، وَمَا هَلَكَ أَحَدٌ عَنْ مَشُورَةٍ ، وَإِذَا أَرَادَ اللهُ بِعَبْدِهِ هَلَكَةً كَانَ أَوَّلُ مَا يُهْلِكُه رَأْيُهُ) .

قَالَ بَعْضُ الحُكَمَاء : (المَشُورَةُ عِمَادُ الأَمْر ، وَالْعَاقِلُ مَنِ اسْتَشَارَ) .

وَلَقَدْ قَالَ اللهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى فِى وَصْفِ الْمُؤْمِنِينَ (وَأَمْرُهُمْ شُورَى بَيْنَهُمْ) الآيَةَ ، وَقَالَ لِنَبِيِّهِ الَّذِى هُوَ أَعْلَمُ مِنْ كُلِّ مَخْلوقٍ (وَشَاوِرْهُمْ فِى الْأَمْرِ) الآيَةَ .

وَلِذَا أَقُولُ :

وَشَاوِرِ النَّاسَ لَا تُخْدَعْ بِرَأْيِكَ إِنْ
أَصْبَحْتَ ذَا عَقْلٍ تَنْجَحْ بِلَا نَدَمِ
وَلَا تَظُنَّكَ تَعْلُو النَّاسَ مَنْزِلَةً
فَهُمْ جُموعٌ وَلَيْسَ المَرْءُ كَالأُمَمِ

فَإِنْ تَقُدْهُمْ فَبِالشُّــورَى بِرَأْيِهِمُ

أَوْ لَا فَآخِرُه نَدَمٌ عَــلَى نَــدَمِ

وَاعْلَمْ أَنَّ لِلْمَشُورَةِ شُروطًا لَابُدَّ أَنْ يَعْلَمَهَا كُلُّ عَاقِلٍ :

(١) أَنْ يُشَاوِرَ عَاقِلاً أَمِينًا .

(٢) أَنْ يُطْلِعَهُ عَلَى بَاطِنِ الْأَمْرِ وَظَاهِرِه .

(٣) أَنْ لاَ يُبَيِّنَ كَدَرًا مَا فِي وَجْهِهِ إِذَا خَالَفَهُ الْمُسْتَشَارُ أَثْنَاء الْمَشُورَةِ لِقَوْلِهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ (الْمُسْتَشَارُ مُؤْتَمَنٌ) .

الدرس السابع عشر

(الاقْتِصَادُ)

الاقْتِصَادُ هُوَ التَّوَسُّطُ فى النَّفَقَةِ لِتَحْسِين المَعِيشَةِ بِغَيْرِ تَبْذِيرٍ وَلَا تَقْتِيرٍ .

إِذَا كُنْتَ عَامِلاً وَكَانَ رَاتِبُكَ خَمْسَةَ جُنَيْهَات مَثَلًا وَعَادَتُكَ فى كُلِّ شَهْرٍ إِذَا أَخَذْتَ الرَّاتِبَ أَنْ تَقْسِمَهُ ثَلَاثَةَ أَقْسَام : قِسْمٌ لِلْحَاجَاتِ الضَّرُورِيَّةِ كَالأَغْذِيَةِ وَغَيْرِ ذَلِكَ . وَقِسْمٌ لِلْمُهِمَّات كَشِرَاء الكُتُب وَغَيْرِ ذَلِكَ مِنَ الأَدَوَات . وَقِسْمٌ لِلادِّخَارِ – كُنْتَ

مُقْتَصِدًا . وَكَذٰلِكَ إِذَا كُنْتَ تَاجِرًا وَكُنْتَ كُلَّ يَوْم مَثَلًا تَكْسِبُ أَرْبَعِينَ شلنًا وتَقْسِمُهَا أَيْضًا ثَلَاثَةَ أَقْسَام مِثْلَ الْعَامِلِ : قِسْمٌ ، لِلضَّرُورِيَّات ، وَقِسْمٌ لِلْمُهِمَّاتِ وَقِسْمٌ لِلادِّخَارِ - كُنْتَ مُقْتَصِدًا أَيْضًا .

أَمَّا الَّذى يَأْخُذُ الرَّاتِبَ وَلَا يُرَتِّبُه بَلْ يَصْرِفُه كَيْفَ شَاء مِنْ دُون تَفْكِير وَلَا تَدْبِير ، حَتَّى يَذْهَبَ كُلُّ الرَّاتِب إِمَّا يَوْمَ أَخْذِه ، أَوْ بَعْدَ ذٰلِكَ بِيَوْمَيْن - فَذٰلِكَ هُوَ الْمُسْرِفُ الْمُبَذِّرُ .

(فَضْلُ الاقْتِصَاد)

اعْلَمْ أَنَّكَ إِذَا كُنْتَ مُقْتَصِدًا ، فَأَنْتَ الْعَاقِلُ الَّذى يَعِيشُ عَيْشًا جَمِيلاً رَغَدًا ، وَتَكُونُ بَيْنَ إِخْوَاتِكَ سَعِيدًا . وَأَمَّا غَيْرُكَ فَتَرَاهُ مَدِينًا فى كُلِّ وَقْت يَخَافُ أَوْ يَسْتَحِى مِنْ أَنْ يَرَاهُ أَصْحَابُ الدُّيُونِ ، وَهٰذَا لِقِلَّةِ عَقْلِه ، فَتَرَاهُ مُهَانًا ذَلِيلًا دَائِمًا .

وَلَقَدْ أَرْشَدَنَا اللهُ وَرَسُولُه إِلَى فَضْل الاقْتِصَادِ بِالآى وَالأَحَادِيثِ ، مِنْ ذٰلِكَ قَوْله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ (لَا عَقْلَ كَالتَّدْبِير ، وَلَا وَرَعَ كَالْكَفِّ ، وَلَا حَسَبَ كَحُسْنِ الخُلُق) وَقَالَ أَيْضًا (الاقْتِصَادُ فِى النَّفَقَةِ نِصْفُ المَعِيشَةِ) وَقَالَ أَيْضًا (مَا خَابَ مَن اسْتَخَارَ ، وَلَا

نَدِمَ مَن استَشَارَ ، وَلَا عَالَ مَن اقْتَصَدَ) وَقَالَ تعالى (وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغلولَةً إلَى عُنُقِكَ ، وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ البَسْطِ فَتَقعُدَ مَلُومًا مَحسُورًا) . وَقَالَ (وَالَّذينَ إِذَا أَنفقوا لَمْ يُسرِفُوا وَلَم يَقتِرُوا وَكَانَ بَينَ ذَلِكَ قَوَامًا) .

أنظُرْ يَا أخى كَيفَ أَرْشَدَنَا اللهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى بالآيَةِ الأُولَى إلَى مَا يَجِبُ أنْ نَكونَ عَلَيْهِ مِنْ حُسْنِ التَّدْبير فى المَعِيشَةِ وَالقَصْدِ فِيهَا ، وَكَيْفَ مَثَّلَ حَالَ البَخِيلِ الَّذي يُقَتِّرُ عَلَى نَفسهِ وَأهْلِهِ بحَالِ مَنْ رُبِطَتْ يَدُهُ فى عُنُقِهِ بحَيْثُ لَا يَسْتَطِيعُ عَمَلَ أىِّ شَىْء بِهَا ، لِأنَّهُ حَبَسَ مَالَهُ عَنْ مُسْتَحِقِّيهِ ، وَاستَوْجَبَ بذَلِكَ المَذَمَّةَ وَالمَلَامَةَ ، ثُمَّ نَهَانَا بَعْدَ ذَلِكَ عَنِ الإِسْرَاف وَإنْفَاق المَالِ فِيمَا لَا يَنبَغِي ، لِمَا يَتَرَتَّبُ عَلَيْهِ مِنَ الفَقْر بَعْدَ الغِنَى ، وَالذُّلِّ بَعْدَ العِزِّ ، فَيُورِثُ الإنْسَانَ إذْ ذَاكَ الحَسْرَةَ وَالنَّدَامَةَ عَلَى أمْوَالِهِ الَّتِى ضَاعَتْ ، وَمَصَالِحه الَّتِى عُطِّلَتْ ، وَأَوْلَادِهِ الَّذِينَ عَجزَ عَن القِيَام بمَطَالِبِهِمْ ، ثُمَّ مَثَّلَ حَالَهُ بحَال مَنْ يَبْسُطُ كَفَّه بحَيْثُ لَا تُمْسِكُ شَيْئًا . وَمِنْ أَجْلِ ذَلِكَ وَجَبَ التَّوَسُّطُ فى الإِنفَاقِ ببَذْلِ المَالِ فِيمَا يَجبُ أَوْ يُسَنُّ كَالزَّكَاةِ وَمُسَاعَدَةِ الأَقَارِبِ ، وَمَدِّ يَدِ المَعُونَةِ فى

إِنْشَاءِ الْمَدَارِسِ وَالْمُسْتَشْفَيَات وَالْمَلَاجِىء وَالْمَسَاجِد وَغَيْر ذَلِكَ مِمَّا يَعودُ بالْخَيْرِ عَلَى الْأُمَةِ وَالْوَطَن ، وَبِإِمْسَاكه عَمَّا لَا يُفِيدُ كَالْإِنفَاق فِي اللَّهْو وَاللَّعِب وَالْمُغَالَاة فى الْمَآتِمِ وَالْأَفْرَاحِ وَالْأَفْرَاطِ فى شِرَاءِ الْمَلَابِسِ وَالْحُلِيِّ . ثُمَّ أَرْشَدَنَا بالآيَةِ الثَّانِيَةِ إِلَى ذَلِكَ أَيْضًا ، وَهُوَ التَّوَسُّطُ بَيْنَ الْإِسْرَاف وَالتَّقْتِيرِ .

فَعَلَيْكَ أَيُّهَا الْأَ خُ بالاقْتِصَادِ لِتَعيشَ سَعِيدًا كَرِيماً ، وَتَكونَ مُتَّبِعًا لِسُنَّةِ الله وَرَسُولِهِ ، فَتَنْجَحَ فى الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ .

الدرس الثامن عشر

(مَكَارِمُ الْأَخْلَاق)

مَكَارِمُ الْأَخْلَاقِ هِيَ الَّتِى جَمَعَتْ مَا مَضَى مِنَ الْأَدَبِ وَحُسْنِ الْمُعَامَلَةِ وَغَيْرِ ذَلِكَ .

الرَّجُلُ الَّذى مِنْ أَخْلَاقِهِ الْأَدَبُ وَالسَّخَاءُ وَالشَّفَقَةُ وَالْحَيَاءُ ، وَعِيَادَةُ الْمَرِيض وَفَكُّ الْعَانِي وَعَدَمُ الشُّحِّ وَغَيْرُ ذَلِكَ مِمَّا يُحْسِنُ قِيَامَهُ بِهِ ـ فَهُوَ ذُو مَكَارِمِ الْأَخْلَاقِ.

(فَضْلُ مَكَارِمِ الأَخْلَاقِ)

إِذَا اتَّصَفْتَ بِمَكَارِم الأَخْلَاقِ أَصْبَحْتَ كَرِيماً مُهاباً وَجِيهاً مُؤْتَمَناً مُوَقَّرًا عِنْدَ كُلِّ النَّاسِ . قَالَ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ (بُعِثْتُ لِأُتَمِّمَ مَكَارِمَ الأَخْلَاقِ) ! وَقَالَ أَيْضًا (كَرَمُ المَرْءِ دِينُهُ ، وَمُرُوءَتُه عَقْلُه ، وَحَسَبُهُ خُلُقُهُ) وَقَالَ أَيْضًا (سُوءُ الخُلُقِ شُؤْمٌ وَشِرَارُكُم أَسْوَأُكم خُلُقًا) وَقَالَ (لَنْ تَسَعُوا النَّاسَ بِأَمْوَالِكم فَسَعُوهم بِأَخْلَاقِكم) وَقَالَ (الْخُلُقُ السَّيِّىءُ يُفْسِدُ الْعَمَلَ كَمَا يُفْسِدُ الْخَلُّ الْعَسَلَ) وَقَالَ (خَيْرُ النَّاسِ أَحْسَنُهُمْ خُلُقًا) وَمِنْ ذلِكَ تَرْكُ مَالَا يَعْنِيكَ كَمَا قَالَ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ (مِنْ حُسْنِ إِسْلَامِ المَرْءِ تَرْكُه مَالَا يَعْنِيهِ) وَقَالَ (مُدَارَةُ النَّاسِ صَدَقَةٌ) .

وَرُوِىَ أَنَّ رَسُولَ اللهِ لمَّا جِىءَ إِلَيْهِ بِالسَّبَايَا يَوْماً ، قَالَتْ امْرَأَةٌ مِنْهُمْ وَهِىَ تَبْكِى : يَارَسُولَ اللهِ ، خَلِّ عَنْ سَبِيلى ، لَا يَشْمَتْ بِى الأَعْدَاءُ ، فَإِنِّى بِنْتُ سَيِّدِ قَوْمِى ، وَكَانَ يُطْعِمُ المِسْكِينَ ، وَيَفُكُّ الْعَانِى ، وَيُكْرِمُ الجَارَ ، وَيُعِينُ الضَّعِيفَ ، وَيَحْفَظُ الذِّمَامَ ، فَقَالَ : وَمَنْ هُوَ ؟ فَقَالَتْ : حَاتِمٌ الطَّائى ، فَقَالَ : أَطْلِقُوهَا ،

فَإِنَّ أَبَاهَا كَانَ يُحِبُّ مَكَارِمَ الأَخْلَاقِ ، وَاللهُ يُحِبُّ مَكَارِمَ الأَخلاقِ) .

وَقَالَ عَلِيٌّ كَرَّمَ اللهُ وَجْهَهُ :

«يَاعَجَبًا لِرَجُلٍ مُسْلِمٍ يَجِيئُه أَخُوه المُسْلِمُ فى حَاجَةٍ فَلَا يَرَى نَفْسَه لِلْخَيْرِ أَهْلًا ، فَلَوْ كَانَ لَا يَرْجُو ثَوَابًا وَلَا يَخْشَى عِقَابًا ، لَقَدْ كَانَ يَنْبَغِى لَهُ أَنْ يُسَارِعَ إِلَى مَكَارِم الأَخْلَاقِ ، فَإِنَّهَا مِمَّا تَدُلُّ عَلَى سَبِيلِ النَّجَاةِ فَقَالَ رَجُلٌ : «أَسَمِعْتَهُ مِنْ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ؟ فَقَالَ : نَعَمْ» !

وَقَالَ الشَّاعِرُ :

وَإِنَّمَا الأُمَمُ الأَخْلَاقُ مَابَقِيَتْ   فَإِنْ هُمُ ذَهَبَتْ أَخلَاقُهم ذَهَبوا

الدرس التاسع عشر

(الدِّينُ)

الدِّينُ هُوَ الانْقِيَادُ إِلَى مَا أَمَرَنَا بِهِ اللهُ وَرَسُولُه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ .

اعْلَمْ أَنَّهُ لَابُدَّ أَنْ تَعْرِفَ أَنَّ الدينَ هُوَ أَوَّلُ كُلِّ شَيْءٍ وَأَصْلُه . قَالَ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ (كَرَمُ المَرْءِ دِينه) وَإِنَّ الدِّينَ لَابُدَّ يَحْتَاجُ

إِلَى عَقْلٍ وَهُوَ مَعْرِفَةُ مَا أَنْتَ عَلَيْهِ وَصِحَّته ، قَالَ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ (قِوَامُ المَرْءِ عَقْلُه ، وَلَا دِينَ لِمَنْ لَا عَقْلَ لَهُ) فَإِذَا رَأَيْتَ الْإِنْسَانَ يُسَارِعُ إِلَى مَا أَمَرَنَا اللهُ بِهِ وَيَنْهَى نَفْسَهُ عَمَّا نَهَى اللهُ عَنْهُ ، فَاعْلَمْ أَنَّهُ رَجُلٌ مُمْتَثِلٌ لِلدِّين ، وَلَا يَفْعَلُ ذٰلِكَ كُلَّهُ إِلَّا المُفْلِحُونَ الْفَائِزُونَ ، وَفَضْلُهِمْ لَا يَسَعُ هٰذَا الْكِتَابُ بَيانَه ، لٰكِنْ عَلَيْكَ بِفَهْمِ حَقِيقَةِ الدِّين قَالَ تَعَالَى (إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللهِ الْإِسْلَامُ) وَقَالَ (إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ المَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالجَنَّةِ الَّتِى كُنْتُم تُوعَدُونَ) وَقَالَ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ «قُلْ آمَنْتُ بِاللهِ ثُمَّ اسْتَقِمْ» وَالاسْتِقَامَةُ فِى قَوْلِ اللهِ وَرَسُولِهِ هِيَ أَنْ تَتَّبِعَ مَا أُمِرْتَ بِهِ وَتَنْتَهِى عَمَّا نُهِيتَ عَنْهُ ، وَتُحِلَّ الحَلَالَ وَتُحَرِّمَ الحَرَامَ .

وَاعْلَمْ يَاأَخِي المُسْلِمَ أَنَّ الدِّينَ شَيْءٌ قَوِيٌّ ، فَإِذَا أَرَدْتَ أَنْ تُصَارِعَ الْقَوِيَّ فَعَلَيْكَ بِالتَّمَهُّلِ وَالتَّدَرُّج شَيْئًا فَشَيْئًا ، كَمَا إِذَا أَرَدْت أَنْ تُسَابِقَ أَحَدًا فِى الْجَرْىِ مَثَلًا ، فَإِنْ بَدَأْتَ تَجْرِى فَوْقَ طَاقَتِكَ وَقُوَّتِكَ مِنْ غَيْرِ تَمَهُّلٍ ، وَبَدَأَ صَاحِبُكَ يَجْرِى عَلَى مَهْلِهِ ، فَلَابُدَّ أَنْ تَتْعَبَ وَتَمَلَّ أَخِيرًا ، فَتَقِفُ حَتْمًا ، فَيَتَقَدَّمُ صَاحِبُكَ

حَتَّى يَصِلَ إِلَى المَقْصُودِ مِنْ غَيْرِ تَعَب ، وَذٰلِكَ حِكْمَةُ الله تَعَالَى فى قَوْلِهِ (يُرِيدُ اللهُ بِكُم الْيُسْرَ وَلاَ يُرِيدُ بِكُم الْعُسْرَ) وَقَالَ عَلَيْهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ (إِنَّ هٰذَا الدِّينَ مَتِينٌ فَأَوْغِلْ فِيهِ برفْقٍ ، فَإِنَّ المُنْبَتَّ - أى الَّذِى يُحَمِّلُ دَابَّتَهُ مَالاَ طَاقَةَ لَهَا بِهِ - لَا أَرْضًا قَطَعَ وَلَا ظَهْرًا أَبْقَى) .

وَعَنْ عَائِشَةَ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ دَخَلَ إِلَيْهَا وَعِنْدَهَا امْرَأَةٌ تَذْكُرُ من صَلَاتِهَا . فَقَالَ : «مَهْ عَلَيْكم بمَا تُطِيقُونَ فَوَالله لاَ يَمَلُّ الله حَتَّى تَمَلُّوا . وَكَانَ أَحَبُّ الدِّينِ إِلَيْهِ مَا دَاوَمَ صَاحِبُه عَلَيْهِ ، وَقَالَ أَيْضًا (الدِّينُ يُسْرٌ ، وَلَنْ يُشَادَّ هٰذَا الدِّينَ أَحَدٌ إِلَّا غَلَبَهُ فَسَدِّدُوا وَقَارِبُوا وَاسْتَعِينُوا بالْغُدْوَة وَالرَّوْحَةِ ، وَشَىْءٍ مِنَ الدُّلْجَةِ) .

وَبِهٰذَا نَعْرِفُ أَنَّ قَلِيلَ الْعَمَلِ تَدُومُ عَلَيْهِ خَيْرٌ مِنَ كَثِيرٍ تَنْقَطِعُ عَنْهُ عِنْدَ الله وَرَسُولِهِ ، ثُمَّ إِنَّ اللهَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى لَمْ يُنَزِّلِ الْقُرْآنَ وَالْأَحْكَامَ الدِّينِيَّةِ دَفْعَةً وَاحِدَةً ، بَلْ نَزَّلَهَا عَلَى التَّدْرِيج ، وَفِى ذٰلِكَ حِكْمَةٌ ظَاهِرَةٌ ، لِضَعْفِ الْإِنْسَان عَنْ تَحَمُّلِ الدِّين كُلِّهِ دَفْعَةً وَاحِدَةً .

فَالآنَ نَعْرِفُ أَنْ الْوَاجِبَ أَوَّلًا عَلَى الْمُسْلِمِ هُوَ الْإِيمَانُ بالله

تَعَالَى ، وَالصَّلَوَاتُ الخَمْسُ ، وَصَوْمُ رَمَضَانَ ، وَالزَّكَاةُ ، وَحَجُّ بَيْتَ اللهِ لِمَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا .

قَالَ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ (بُنِيَ الإِسْلَامُ عَلَى خَمْسٍ : شَهَادَةِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللهِ ، وَإِقَامِ الصَّلَاةِ ، وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ ، وَصَوْمِ رَمَضَانَ ، وَحَجِّ بَيْتِ اللهِ لِمَنْ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا) .

وَمَا زَادَ عَلَى ذَلِكَ فَكُلُّه مَطْلُوبٌ مِنْكَ أَيُّهَا المُؤْمِنُ ، وَلَكِنْ عَلَى التَّدْرِيجِ . فَمِنْ ذَلِكَ مَا ذَكَرْنَا مِنَ المُوَاسَاةِ وَالمُؤَاخَاةِ وَغَيْرِ ذَلِكَ . قَالَ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمْ (الدِّينُ النَّصِيحَةُ) وَقَالَ(الدِّينُ المُعَامَلَةُ) .

الدرس العشرون

(تَتِمَّــةٌ)

إِذَا نَظَرْتَ أَيُّهَا الإِنْسَانُ بِعَيْنِ الْبَصِيرَةِ وَالتَّفْكِيرِ تَعْرِفُ أَنَّ اللهَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى لمَّا خَلَقَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً أَرَادَ بِهَذَا حِكْمَةً عَظِيمَةً لَا يَكَادُ يَفْقَهُهَا إِلَّا العَالِمُونَ العَاقِلونَ ، وَهِيَ أَنْ يُعَامِلَ كُلُّ وَاحِدٍ أَخَاهُ مُعَامَلَةً حَسَنَةً ، فَإِذَا فَعَلوا ذَلِكَ لَمْ يَنْشَأْ شَرٌّ فِيمَا

بَيْنَهُمْ كَسَفْكِ الدِّمَاءِ وَغَيْرِ ذٰلِكَ . فَلَمَّا أَرَادَ اللهُ هٰذَا أَرَادَ أَنْ يُبَيِّنَ لَنَا ذٰلِكَ بِطَرِيقَةٍ سَهْلَةٍ ، فَاخْتَارَ رَجُلًا مِنَ النَّاسِ لَا مِنَ الْجِنِّ وَلَا مِنَ الْمَلَائِكَةِ ، وَأَدَّبَهُ وَعَلَّمَهُ وَفَهَّمَهُ كُلَّ شَيْءٍ ، لِيُرْشِدَ النَّاسَ إِلَى تِلْكَ الْمُعَامَلَةِ الْحَسَنَةِ ، فَذٰلِكَ الرَّجُلُ هُوَ مَوْلَانَا وَقَائِدُنَا وَسَيِّدُنَا مُحَمَّدٌ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَإِذَا عَرَفْنَا ذٰلِكَ عَرَفْنَا أَنَّهُ لَا عَجَبَ فِى قَوْلِهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ (أَدَّبَنِى رَبِّى فَأَحْسَنَ تَأْدِيبِى) لِأَنَّهُ جَاءَ بِمَا لَمْ يَأْتِ بِهِ غَيْرُهُ مِنَ الْخَلْقِ طُرًّا ، وَهُوَ يَتِيمٌ أُمِّىٌّ لَا مُرْشِدَ لَهُ ، وَكَذَا لَا عَجَبَ فِى قَوْلِهِ (بُعِثْتُ لِأُتَمِّمَ مَكَارِمَ الْأَخْلَاقِ) وَقَدْ تَمَّمَهَا وَنَحْنُ عَلَى ذٰلِكَ مِنَ الشَّاهِدِينَ ، وَقَالَ اللهُ تَعَالَى وَهُوَ أَصْدَقُ الْقَائِلِينَ (وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ) وَبِهٰذَا نَعْرِفُ أَنَّ دِينَنَا دِينَ الْإِسْلَامِ هُوَ خَيْرُ الْأَدْيَانِ ، لِأَنَّهُ دِينٌ يُعَلِّمُكَ رَبَّكَ وَكَيْفَ تَعْبُدُهُ وَتَحْمَدُهُ فِى كُلِّ مَا أَسْدَى لَكَ مِنَ النِّعَمِ ، وَيُعَلِّمُكَ كَيْفَ يُعَامِلُ النَّاسُ بَعْضُهُمْ بَعْضًا مِنْ غَيْرِ فَسَادٍ فِى الْأَرْضِ ، فَكَلِمَةُ الْإِسْلَامِ إِذًا هِىَ سَلَامَةُ الصَّدْرِ مِنَ الْبُغْضِ ، وَسَلَامَةُ الْجِسْمِ مِنَ الْعَيْبِ ، وَسَلَامَةُ الدَّمِ مِنَ السَّفْكِ ، وَسَلَامَةُ النَّفْسِ مِنَ الْقَتْلِ ، وَسَلَامَةُ الْإِنْسَانِ مِنَ الشِّرْكِ .

أَرْشَدَنَا اللهُ إِلَى سَبِيلِ الهُدَى بِجَاهِ خَيْرِ مَنْ أَرْسِلَ رَحْمَةً وَهُدَى مُحَمَّدٍ سَيِّدِ الكَوْنَيْنِ ، صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ ، وَعَلَى آلِهِ وَأَصْحَابِهِ وَسَلَّمَ إِلَى يَوْمِ الدِّينِ ، وَآخِرُ دَعْوَانَا أَنِ الحَمْدُ لِلهِ رَبِّ العَالَمِينَ.

تم هذا الكتاب

يوم الثلاثاء ٢٦-٩-١٩٥٠ م - الموافق ١٤-١٢-١٣٦٩ ه

تعليم المتعلم في طريق التعلم

التقــريظ

أرجو من الله العظيم أن يجعل هذا الكتاب عوناً عظيما لمدارس إحياء السنة التى أسستها الجمعية الاسلامية فى شمال نيجيريا فى سنة ١٩٥١ م لتهذيب أخلاق الأطفال ، ونشر الدين الإسلامى وإرسال طلبتها إلى الشرق لإكمال دروسهم .

فإن المؤلف وأمثاله من الشبان الذين كانوا عاكفين على التدريس والتأليف سيثبتون للعلم قدما ، ويرفعون للإسلام مجدا ، فى هذه الأرض الواسعة .

محمد كوَنْ عبد المؤمن دهبنه

مدير مدارس احياء السنة للجمعية
الاسلامية فى شمال نيجيريا

فهرست الكتاب

صفحة	الموضوع
١٩	فضل الوفاء بالعهد
٢٠	الدرس السابع ـ الصبر
٢١	فضل الصبر
٢٣	الدرس الثامن ـ حسن المعاملة
٢٤	فضل حسن المعاملة
٢٦	الدرس التاسع ـ التواضع
٢٧	فضل التواضع
٣٠	الدرس العاشر ـ بر الوالدين
٣١	فضل بر الوالدين
٣٣	الدرس الحادى عشر ـ العدل
٣٤	فضل العدل وقبح الظلم
٣٦	الدرس الثانى عشر ـ الطاعة
٣٧	فضل الطاعة
٣٨	الدرس الثالث عشر ـ الشفقة
٣٩	فضل الشفقة

صفحة الموضوع

(تم الفهرس)

النور الدال

